حول المنهج التاريخي

بقلم
رئيس التحرير

يقول المؤرخ البريطاني المعاصر راوز في كتابه القيم عن « فائدة التاريخ » « شهد القرن التاسع عشر ثورة فكرية عميقة لم تظهر آثارها كاملة الا في عصرنا ، وقد كانت هذه الثورة متصلة اتصالا وثيقا بالتاريخ ، وفي الحق أنها كانت في جوهرها معنية بالتاريخ ويمكن القول انها كانت بطبيعتها تاريخية ، فقد جاءت بنظرة جديدة للأشياء ، وكانت هذه النظرة بطبيعتها تطورية ، اى انها كانت تنظر الى الأشياء في نموها وترقيها وحركة تغيرها غير المنقطع ، ولم تفهم حركة التغير الواقعي فهما كاملا ، وكانت نظرية دارون الخاصة بالتطور عن طريق الانتخاب الطبيعي احد الفروض عن كيفية حدوث التغير في عالم العلوم الطبيعية ، ولكن التقدم العظيم كان في النظر الى الأشياء في حدود التغير على الاطلاق ، وليس هذا فحسب ، بل التفكير في ان هذا التغير له اسبابه ، ومنذ ذلك الوقت كانت محاولة استقصاء أسباب هذا التحول الهدف الرئيسي في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية » .

وقد أصاب الأستاذ راوز فيما قرره ، فالواقع أن العناية بالتاريخ والتفكير التاريخي من السمات التي امتاز بها القرن التاسع عشر ، وقد استلزم ذلك البحث في طرائق كتابة التاريخ، والنظر في مناهج البحث التاريخي ، وظهرت مذاهب كثيرة في فلسفة التاريخ تحاول تفسير معناه ، واستنباط القوانين المسيطرة عليه ، وكان المفكرون الألمانيون سباقين في هذا المجال ، وآثارهم فيه بارزة معروفة .

وتتضمن كتابة التاريخ ثلاثة عناصر هامة ، أولا بحث الأحداث التاريخية وتحقيقها للوثوق من صحة وقوعها ، والخطوة التالية تفسير هذه الوقائع وتقدير قيمتها ومحاولة ايجاد الرابطة المنطقية التي تربط بعضها ببعض ، ويتبع ذلك الشروع في تنسيق هذه المادة وسردها في أسلوب واضح وعرض شائق .

النقد التاريخي

ويشمل :

- المدخل إلى الدراسات التاريخية : للأنجلو سنيوبوس
- نقد النص : لبول ماس
- التاريخ العام : لأمانويل كانت

ترجمها عن الفرنسية والألمانية : الدكتور عبد الرحمن بدوي

الناشر : دار النهضة العربية - ٣٠٨ ص ٢٤×١٧ - الثمن : ٤٠

والعنصران الخاصان بجمع الأحداث وتحقيقها ومحاولة تفسيرها وكشف أسبابها لابد فيهما من اتباع المنهج العلمي في البحث والتحري والتحقيق، أما كتابة المادة التاريخية وعرضها على القارىء فلا تكفي فيها الروح العلمية ودقة البحث والتحري ، ولتصبح الكتابة التاريخية من طرائف التاريخ لابد من توفر الملكات الأدبية ، ويظهر من ذلك أن كتابة التاريخ ليست بالأمر الهين ، فهي في حاجة ماسة الى اقتران الملكات العلمية بالمواهب الأدبية ، وكبار المؤرخين عرفوا بالقدرة على البحث والتنقيب ، والموازنة والتحقيق ، مع قوة البيان ، وبلاغة الأداء ، واجادة العرض .

ومن أشهر الكتب التي ظهرت عن المنهج التاريخي كتاب المؤرخ الألماني ارنست برنهايم واسمه « البحث التاريخي وفلسفة التاريخ » وقد ظهر سنة ١٨٨٠ وقد شكا فيه من التباعد غير الطبيعي بين البحث التاريخي وفلسفة التاريخ، وحاول التقريب بينهما وجعلهما يتعاونان ، واستعان على ذلك بنقد طرز فلسفة التاريخ السائدة ، وبيان كيف تقام فلسفة التاريخ على أساس البحث التاريخي وطرائقه ، وصنف فلسفات التاريخ السابقة لعهده الى مجموعتين، فلسفات التاريخ المثالية وفلسفات التاريخ الطبيعية العلمية ، وأظهر أن كلا الصنفين ينظر الى التاريخ من ناحية واحدة ، وانه مقصر في المبدأ والطريقة ، ورحب بفلسفة جديدة للتاريخ تتناول المشكلة بحذافيرها من ناحية علاقتها بالبحث التاريخي التجريبي .

فالتاريخ ليس مجرد سرد ، وانما هو علم له **خصائصه وطرائقه ، وليس هو لمجرد بيان الفذ الذي لا نظير له (مثل الأحداث أو الأشخاص أو الجماعات أو العصور) وانما هو بحث عن علاقات الذي لا نظير له في حدود مجموعات كاملة هي في نفسها لا نظير لها .**

وقبل انتهاء القرن التاسع عشر ، في

سنة ١٨٩٨ . ظهر كتاب « المدخل الى الدراسات التاريخية » الذى اشترك فى تأليفه المؤرخان الفرنسيان شارل سنيوبوس وشارل فكتور لانجلوا ، وقام بنقله الى اللغة العربية الدكتور عبد الرحمن بدوى .

وبرغم مضى سنوات طوال على تأليف هذا الكتاب تطورت فيها مناهج البحث التاريخى واستجدت فيها آراء ومذاهب فى التاريخ وبحوثه وفلسفته الا ان هذا الكتاب لا يزال فيما أعلم محتفظا بقيمته ، ولا يزال من المراجع التى يفيد منها الباحث المتخصص والقارىء العادى الذى يلتمس المتعة والتسلية ، وهو يحذر البادئين فى الدراسات التاريخية من صعوبة التاريخ وكثرة مزالقه ، ويبين لهم الصعوبات التى تعترض طريقه ، ويكاد يضل فى متاهاتها لو لم يرزق الصبر والجلد على البحث والقدرة على صدق النظر ، واجادة الحكم على الأشياء ، وقد يكون الكتاب التاريخى رائق الأسلوب شائق العرض ، ولكنه ليس من التاريخ فى شيىء ، اذ لا يمكن الاعتماد على صحة المعلومات والأخبار الواردة به ، لان مؤلفه لم يتبع المنهج السليم فى الرجوع الى الوثائق ، ومناقشة النقول ، ولم يدرب التدريب الكافى على أساليب بحث النصوص وتحقيقها والموازنة بينها .

وفى التصدير العام الذى استهل به الدكتور عبد الرحمن بدوى الكتاب قدم لنا المؤلفين ، فشارل لانجلوا المؤرخ والباحث فى المنهج التاريخى ولد سنة ١٨٦٣ ودرس فى مدرسة الوثائق ومدرسة الحقوق وبكلية الآداب بجامعة باريس ، وحصل على الاجازات العلمية ، والقى محاضرات فى العلوم المساعدة للتاريخ ومحاضرات فى علم الوثائق والمراجع ونشأ على يديه جيل من المؤرخين وامناء المحفوظات والمكتبات ، واهتم بتاريخ فرنسا فى العصر الوسيط وله فيه مؤلفات ممتازة كما كتب فصولا فى « المجلة التاريخية » وبمجلة « مكتبة مدرسة الوثائق » جمعها فى مجلدين بعنوان « مسائل فى التاريخ والتعليم » وقد توفى سنة ١٩٢٩ .

وشارل سنيوبوس ولد فى سنة ١٨٥٤ ودخل مدرسة المعلمين العليا فى باريس ، وحصل على الليسانس من كلية الآداب ، وعين مدرسا فى كلية الآداب بجامعة ديجون ، ثم *استاذا حرا* فى السوربون ، ثم مدرسا فى كلية الآداب بجامعة باريس وتوفى سنة ١٩٤٢ ، ومن مؤلفاته فى التاريخ « تاريخ الحضارة » و « تاريخ شعوب الشرق » و « التاريخ السياسى لأوروبا المعاصرة » وقد ترجم له كتاب الى اللغة العربية باسم « تاريخ التمدن الحديث » بقلم « الكاتب المحجوب » وطبع بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٠٩ وفى هذا الكتاب فصول عن دول أوروبا الجديدة فى القرن الثامن عشر ، ونظام الاستعمار ، والصراع بين الانجليز والفرنسيين ، والثورة الفرنسية وحروب نابليون ، ومؤتمر فينا ، وما الى ذلك من الفصول والموضوعات .

أما كتاب المدخل الذى اشتركا فى تأليفه فقد كتب لانجلوا الكتاب الأول ثم الكتاب الثانى حتى الفصل السادس والتنبيه ، وكتب سنيوبوس بقية الكتاب الثانى (أى الفصل السابع والفصل الثامن) ثم الكتاب الثالث ، أما الفصل الأول من الكتاب الثانى والفصل الخامس من الكتاب الثالث والخاتمة فقد كتباها معا .

ويقول الدكتور عبد الرحمن بدوى « أما الغرض من الكتاب فقد بينه لانجلوا فى التنبيه الذى صدر به الكتاب ، فقال انهما قصدا من هذا الكتاب أن يبحثا فى شروط المعرفة فى التاريخ وعلاماتها وخصائصها وحدودها ، ما هى الوثيقة؟ وكيف تعالج الوثائق من أجل الافادة منها فى التاريخ ؟ وما هى الوقائع التاريخية ؟ وكيف تجمع لتشييد العمل التاريخى ؟ تلك هى المسائل التى يتناولانها فى هذا الكتاب ، والذى دفعهما الى كتابته أنهما وجدا الكتب المتصلة بالمنهج التاريخى على كثرتها سيئة غامضة سطحية لا تقبل القراءة، وأحيانا مضحكة ، فالتى كتبت قبل القرن التاسع عشر تكاد كلها أن تكون مجرد رسائل خطابية عفى على خطابتها الزمن ، والحديثة منها لم تسلم من آفتين الغموض والتفاهة ، لكنهما يعترفان مع ذلك أنه ليست كل الكتب التى كتبت عن المنهج التاريخى عديمة القيمة ، فقد تكون شيئا فشيئا كنز من الملاحظات الدقيقة والقواعد الصحيحة التى أوحت بها الممارسة العملية للتاريخ ، ومنذ

خمسين عاما (قبل تاريخ كتابتهما لهذا الكتاب في سنة ۱۸۹۷) قام رعيل ضخم من الأذكياء الأمناء بالتأمل في منهج العلوم التاريخية ، منهم المؤرخون والمناطقة ، وكان من المفيد جمع خلاصة ملاحظاتهم وتجاربهم وأبحاثهم ، وقد قام بذلك أولا ارنست برنهايم الأستاذ آنذاك في جامعة جريفسفلد (ألمانيا) فاستقصى كل كتابات المحدثين في المنهج التاريخي ، واستخلص من ذلك قواعد وضعها في اطارات ميسورة ، وأودع ذلك في كتابه الممتاز « متن في المنهج التاريخي » ولم يشأ لانجلوا وسنيوبوس أن يبدآ مما بدأ به برنهايم ، لكنهما لاحظا انه لم يقل كل شيء في الموضوع رغم ما جمعه باجتهاد بالغ وعقل حصيف ، ذلك انه توسع في مسائل ميتافيزيقية اعتقداهما انه لا فائدة فيها ، ومن ناحية اخرى لم ينظر الى المسائل أحيانا بالنظرة النقدية العملية التي يريان أهميتها البالغة ، وفضلا عن ذلك فان كتاب برنهايم لا يتوجه الا الى المختصين ، لهذا كتبا هذا «المدخل الى الدراسات التاريخية» ولم يقصدا من ورائه ان يكون مبحثا شاملا في المناهج التاريخية، انه مجمل موجز ، وقد قصدا به الى تنبيه الطلبة الجدد في السوربون الى ما ينبغي ان تكون عليه الدراسات التاريخية وما هي عليه في الواقع . وقد قصدا من هذا الكتاب أن يتوجه ليس فقط الى دارسي التاريخ الناشئين ، بل وايضا الى عامة الناس المثقفين ، لهذا حرصا على ان يكون دقيقا وواضحا وقليل الاصطلاح الفني الى أقصى درجة مستطاعة » .

ولاحظ الدكتور بدوي أن كتابهما لم يتوسع التوسع الكافي في نقد النصوص ، وهو من أهم نواحي النقد التاريخي ، لذلك قام بترجمة متن خاص بهذا الباب وهو كتاب پول ماس وعنوانه « نقد النص » .

وقد الحق بالكتاب نصوصا مختارة من آراء الفلاسفة في التاريخ منها نص لامانول كنت عنوانه « نظرة في التاريخ العام بالمعنى العالمي » ونص لديكارت من « مقال في المنهج » ونص لپول ڤالرى عنوانه « خطبة في التاريخ » .

وأذكر انه ظهر في سنة ١٩٤٣ كتاب قيم للبحاثة المؤرخ الدكتور حسن عثمان وعنوانه « منهج البحث التاريخي » ، قال الدكتور عثمان في مقدمته « وانني أقدم هذا الكتاب - الذي سبق أن نشرت بعض فصول منه في مجلة الرسالة - خلاصة لبعض المؤلفات الأوربية مثل كتابات لانجلوا وسنيوبوس وفلنج وڤنسنت وكروتشه .. مع الاسترشاد ببعض ما كتبه علماء المسلمين في الرواية والحديث ، كما أضفت بعض الأمثلة التي عرضت لي في أثناء البحوث التاريخية التي قمت بها » .

وقد نوه الدكتور حسن عثمان في مقدمة كتابه بالجهود التي بذلها بعض المشتغلين بالتاريخ لدراسة منهج البحث التاريخي ، وأشار الى كتاب الدكتور أسد رستم « مصطلح التاريخ » وذكر انه أول كتاب في اللغة العربية عن منهج البحث التاريخي بالمعنى العلمي الحديث .

وليس عجيبا أن يحظى التاريخ بعناية الباحثين واهتمام الناس عامة بل العجيب اغفاله واهماله وافتقاد الاحساس به والعناية بأمره .

والانسان مطبوع على النظر الى الأمام ومحاولة كشف حجب المستقبل والنظر الى الوراء ومحاولة معرفة الماضي ، وهو حريص على أن يتبين علاقته **بالاثنين ، ومن ثم يحرص على نقل الأخبار التي سمعها ، ويحب أن يروي تجاربه ، ويعمل على ابقاء ذكرى منجزاته ، ومعظم احاديث الناس تدور حول رواية حوادث حياتهم وأخبار تجاربهم، ولكن برغم الصلة الشديدة بين التاريخ والطبيعة الانسانية فان دراسة التاريخ وتحقيق حوادثه ومحاولة كتابته في حاجة الى ممارسة خاصة من الناحية الفكرية والناحية التجريبية بل ومن الناحية الأخلاقية كذلك .**

وليست كتابة التاريخ فنا فحسب تكفي فيه البديهة اللماحة والخيال العاطف والأداء البارع، بل هي في حاجة الى ألوان من التفكير العلمي ، فكيف ندرس الوثائق ونطمئن الى صدقها واصالتها ؟ وكيف تفيد من فحص النقوش والنقود والمسكوكات ؟ وكيف نتتبع مختلف المصادر التاريخية والمراجع الهامة ونقبل ما بها أو نرفضه ولا نعول عليه ؟ وما هي طرائق البحث التاريخي؟ وكيف نزن الأحداث ونميز ما له أهمية خاصة فنقف عنده ونتمهل في دراسته وما ليس بذي

بال فنهمله ولا نبدد جهدنا باطالة النظر اليه والتفكير فيه ؟ وما هو الأسلوب المناسب فى كتابة التاريخ والمزايا الأخلاقية التى يحسن توفرها فى المؤرخ مثل الموضوعية والنزاهة والأمانة الفكرية والصراحة ومجافاة التحيز والتعصب ؟

ويرى سينوبوس ولانجلوا أنه يحسن فصل البحث والتنقيب عن كتابه التاريخ ، وان يعتمد المؤرخون فى كتابتهم التاريخية على ما يقدمه لهم العلماء الباحثون من المعلومات المحققة ، والوثائق المدروسة المحصة ، ومتى وجد المؤرخ الوثائق والمستندات التى يرجع اليها ويعتمد عليها مصححة مدروسة فانه يتيسر له أن يكتب التاريخ فى ثقة واطمئنان ، ولا نزاع فى أن المؤرخ الكامل هو الذى يستطيع الجمع بين القدرة على البحث والتنقيب واستشارة المراجع المختلفة والقدرة على السرد الجذاب ، والعرض الشائق ، وقد أسرف بعض انصار النزعة العلمية فى كتابة التاريخ الى حد تحبيذ عدم العناية ببلاغة الأداء وحسن البيان ، والتاريخ الحق عندهم هو التاريخ المثقل بالوثائق والمستندات والنصوص ، كما أسرف بعض انصار النزعة الادبية فى كتابة التاريخ فاستباحوا لانفسهم الامعان فى التلوين الصارخ ، وخلق الأحاديث الوهمية ، واقحام المواقف الدرامية المستوحاة من الخيال ، فى حين أن ما يباح للروائى فى كتابة الروايات التاريخية لا يباح للمؤرخ فى كتابة التاريخ ، كما أنه مما يعاب على المؤرخ أن يحمل النصوص ما يتجاوز طاقتها أو ان يذهب فى تفسير محتوياتها مذاهب ملتوية لا يؤيدها المنطق ولا تتفق مع طبيعة الأحداث المروية ، وميلاد التاريخ الحق يقتضى وجود المادة المحققة والأسلوب الناقد فى ابراز هذه المادة ، وكل منا يعرف صعوبة الوصول الى الحقيقة فى المسائل الدنيوية العادية ، واذا كان اختلاف اقوال الشهود لحادثة معينة قريبة العهد كثير الحدوث فكيف يمكن الوصول الى الحقيقة فى الأحداث البعيدة العهد ؟

فتوفر العقلية الناضجة والروح الناقدة التى تطلب الدليل والبرهان ولا تخدع بالمظاهر الزائفة من الأمور اللازمة للمؤرخ ، والمؤرخ الحق هو الذي يعرف عندما تعرض عليه الوقائع التاريخية كيف يميز الاخبار الصحيحة من الاخبار التى يحيط بها الشك ، ولم تتقدم كتابة التاريخ الا بعد ظهور هذا الطراز من المؤرخين .

وقد كان هيرودوت راوية للتاريخ بارعا ، ولكن مما يؤخذ عليه ان الحقيقة تمتزج بالأسطورة فى كتاباته امتزاجا يجعل فى بعض الأحيان من الصعب التفريق بينهما ، ولكن روح الشك والميل الى التحقيق ومناقشة الوثائق ومراجعة الشهود تبدو فى كتاباته ، أما فى كتابات توكوتيدس فتبدو روح الشك قوية قاهرة مما جعل كتابه مرجعا هاما ونموذجا فى كتابة التاريخ .

والمؤرخ الحق لا يكتفى بمعرفة ما حدث فى الماضى ، فهو يحاول أن يعرف الملابسات التى أدت الى حدوث ما حدث ، ولما كانت الاحداث التاريخية تتضمن ما قام به الناس فى الماضى وكان ما قام به الناس نتيجة لما جال فى خواطرهم وعقدوا على القيام به عزائمهم وارادتهم لذلك كان على المؤرخ أن يتحرى معرفة الدوافع الكامنة وراء الأعمال ، ومن ثم عناية المؤرخ بالمعتقدات والآراء والاتجاهات الفكرية السائدة فى العصر الذى يعنى بدراسته ، ومن التبعات الملقاة على عاتق المؤرخ أن يبرىء التاريخ من النزعات الحزبية ، والتعصب الطائفى ، وان يظهر الجوانب المختلفة للمذاهب والأحزاب ، واتباع المنهج القويم فى دراسة التاريخ وكتابته تنزه العقل من سرعة التصديق وتجنبه الى حد كبير سهولة الانخداع بالمظاهر والتعلق بالقشور .

ومن النصائح القيمة التى قدمها المؤلفان فى آخر الفصل الخاص بالبحث عن الوثائق قولهما « ان اختيار موضوع للدراسة دون تقدير لطبيعة الأبحاث التمهيدية التى يقتضيها ودون تقدير لمداها كما يحدث غالبا لهو أمر ينطوى على خطر ، وكم نفر غرقوا طوال سنوات فى امثال هذه البحوث وكانوا اقدر على الافادة لو انهم اشتغلوا بأعمال من نوع آخر ، ودرءا لهذا الخطر الأبلغ ضررا بالنسبة الى الناشئة بقدر ما هم أوفر نشاطا وأشد حماسة ، فانه لاشك فى أن الفحص عن الأحوال الراهنة للهورسطيقا عامة ، وعن المعانى الايجابية فى علم المراجع التاريخية هو أمر يعود بالفائدة الصالحة » .

ويشير المؤلفان فى الفصل الخاص « بالعلوم المساعدة » على البحث التاريخى الى مسألة طالما اختلفت فيها الآراء على غير جدوى وهى مسألة « ما اذا كان التاريخ من بين تلك الدراسات التى نعتها القدماء بعلوم الخلوة ، وهى التى لا تحتاج الا الى هدوء العقل والجد ، أو كان من النافع للمؤرخ أن يكون قد شارك فى الحياة العملية وان يكون قد ساهم فى صنع تاريخ عصره قبل ان يكتب تاريخ الماضى — وكم من مسائل أثاروها ! وكم من بحار من المداد اريقت حول هذه المسائل التى أسىء وضعها وانتفت فائدتها ولا حل لها ، وطالما ثار الجدل حولها دون جدوى مما ادى كثيرا الى احتقار الكتب التى كتبت فى علم المناهج ولا شىء ناجعا يمكن أن يقال فى هذا الباب مما ليس من شأن الذوق السليم فيما يتصل بتعلم فن كتابة التاريخ ، اللهم الا ان هذا التعلم يجب أن يكون بوجه خاص دراسة مبادىء المنهج التاريخى ، وهى دراسة ظلت مهملة بوجه عام حتى اليوم » .

ولا نزاع فى ان المؤرخ الحق عليه ان يلتزم الحذر ويصطنع الشك ازاء الكثير من الأخبار والمعلومات التى تعرض له ، ولكن الاسراف فى الشك قد لا يقل ضررا عن الاسراف فى سرعة التصديق .

ويقول المؤلفان فى هذا الصدد « ان الافراط فى الشك والاتهام فى هذه الأمور يكاد ان يكون له نفس النتائج الضارة التى للافراط فى الثقة والاعتقاد والاب هاردوان الذى نسب الى رهبان فى العصور الوسطى مؤلفات فرجيل وهوراس ليس أقل مدعاة للسخرية من ضحية فران لوكا، وانه لمن سوء استعمال عمليات نقد المصدر ان نطبقها كما حدث احيانا — لمجرد اللذة وحيثما اتفق ، والاغبياء الذين استغلوها لادعاء زيف وثائق ممتازة .. من شأنهم أن يزعزعوا الثقة بها لو كان ذلك مستطاعا » .

ولم تفت المؤلفين الاشارة الى خليقة من الخلائق البغيضة التى تبدو احيانا فى نقد العلماء المتخصصين وانحرافهم عن الجادة فى تقديرهم لأعمال بعضهم البعض ، فهما يقولان « رأينا أنه يؤخذ على العلماء المحصلين غرورهم وعنفهم الشديد فى الأحكام التى يصدرونها على أعمال زملائهم ، وان ذلك مرده الى اهتمامهم المفرط « بالأمور الصغيرة » ويأخذ عليهم ذلك خصوصا اولئك الذين نقدوا نقدا قاسيا ، والحق أن من العلماء المحصلين من هم متواضعون رحماء ، والأمر أمر خلق وطباع و « الاهتمام » المهنى «بالأمور الصغيرة» لا يكفى هنا لتغيير الاستعدادات الطبيعية ، فالرجل الطيب دى كانج .. كان متواضعا للغاية ، وكان يقول عن أعماله « تكفى العيون والأصابع لعمل مثلها وأكثر » وكان من مبدئه ألا يلوم أحدا « اذا كنت أدرس فما ذاك الا للذة الدراسة لا ايلام الآخرين ولا ايلام نفسى » لكن من المؤكد مع ذلك أن معظم العلماء المحصلين يفضحون علنا أقل هنات تصدر من بعضهم بعضا دون أدنى شفقة ، وأحيانا بلهجة فظة غليظة ، ويبدون غيرة مرة ، فاذا اطرحنا المرارة والقسوة جانبا فليسوا مخطئين فى سلوكهم هذا المسلك ، ذلك أن لديهم شعورا مرهفا بالحقيقة العلمية — شأنهم شأن العلماء بالمعنى الحقيقى أى الفزيائيين والكيميائيين الخ حتى تعودوا على هتك كل اعتداء على المنهج ، وبهذا يصلون الى تحريم الدخول فى مهنتهم على العاجزين والعابثين الذين كانوا فى الماضى كثيرين » وبعد هذا الكتاب من المراجع الهامة فى دراسة المنهج التاريخى منذ ظهوره ، ويشير اليه معظم المؤرخين اشارات تنطوى على حسن التقدير ، ولست أشك فى انه جزيل النفع للبادئين فى الدراسات التاريخية والمؤرخين المدربين على السواء ، وقد أحسن الدكتور عبد الرحمن بدوى الاختيار بنقله الى اللغة العربية كما احسن فى نقل الاضافات التى الحقها به ، ولم يتح لى الاطلاع على الأصل الفرنسى للكتاب وانما اطلعت على الترجمة الانجليزية وبمقابلة اجزاء منها على الترجمة العربية تبين لى ما بذل الدكتور عبد الرحمن بدوى من جهد فى جعل الترجمة العربية تجمع بين الوضوح ومراعاة الدقة والأمانة .

علی أدهم

النظريات السياسية الإسلامية

تأليف الدكتور محمد ضياء الدين الريس

١ ـ لكل دولة ذات حضارة نظم فى الحكم اتبعتها بعد أن سنتها ، وقد تكون سنة التدرج هى التى سيرتها ، فاخذت تتكون على مر العصور وعبر التاريخ حتى استوت نظاما قائما . كما كان الشأن عند الرومان ، وعند اليونان فى القديم وعند الفرنجة فى العصور الحديثة .

وقد تكون تلك النظم قد نشأت فى ظل وحى اوحى به ، أو ثورة فى الأخلاق والاجتماع والاقتصاد ، وفى الحال الأخيرة لا تخلو من أن تكون ذات صلة بسابق لحقته ، فهى فى الحقيقة مزيج من الابتداع والاتباع ، أما ما يكون من نظم ناشئا فى ظل دين، فانه يكون طريقا مستقيما هدى الله تعالى اليه ، وقد يكون ذا صلة بالباقى من غير تحريف فى الديانات السماوية السابقة ، ولكنه فى هذا الجزء يكون تجديدا لما اندثر ، واحياء لما درس ، ولا يكون وليدا لما سبق ، بل يكون انشاء جديدا ، أو بعثا لقبور فى زوايا التاريخ .

٢ ـ والأمم القوية ذات الشخصية المستقلة غير المندمجة فى غيرها . ولا المضطربة فى كيانها ـ لا يشغلها حاضرها عن ماضيها بل انها تصل بينهما برباط وثيق ، ان لم يكن بالعمل من كل الوجوه، فانه يكون بالدرس والفحص لتتخير خير ما فيه ، وتتبعه ، وقوة الأمم تكون من صدر تاريخها ، كما هو فى قابل أمرها ، ومهما يحاول بعض المنحرفين من تقويض للماضى ، فان الجماعات تهدم ما يفعلون وتصل ما يقطعون ، وان حياة الأمم كمجرى الأنهار ، تتصل دائما بمنبعها ، وتأخذه الى مصبه ، حيث نهاية هذه الحياة الدنيا .

ولهذه المعانى عنيت الأمم الحية بدراسة نظمها القديمة ، فان لم يكن لها قديم تعتز به ، درست ما يتصل بجماعاتها منذ نشأتها ، ولذلك عنى الأوربيون بدراسة نظم اليونان،فهم يدرسون نظم اثينا ونظم اسبرطة ، ويدرسون ماكتبه الفلاسفة والحكماء ، فيدرسون وينشرون نظم سولون ، ونظم ليكورغ ، والسياسة لأرسطو ، والجمهورية لأفلاطون ، بل انهم يربطون نظمهم الديمقراطية بنظم اليونان ، وعلماء القانون فى أوربا يدرسون القانون الرومانى ، ويعتبرونه أصلا لشرائعهم ، ويتفاخرون به ويعتزون ، ولقد وصلت العدوى الينا ، فصار مادة تدرس فى معاهد القانون عندنا ، وفى كل باب من أبوابه يصلون سلسلة الفكرة القانونية فى اى جزء من الأجزاء بذلك القانون ، كأنه واجب التقديس .

٣ ـ وكان حقا علينا أن نعرف نظم الحكم فى الاسلام ، وسياسة الدولة فيه ، وأن يكون ذلك موضع دراسة فى كليات القانون عندنا ، ولكن

الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية - ٣٥١ صفحة
١٧ × ٢٤ سم - الثمن ٣٥

لم يكن مع الأسى والألم موضع دراسة عميقة ، ولا سطحية فى أى كليـــة من كليـات الأدب او الاجتماع أو القانون ، اللهم الا انه فى السنين الأخيرة أدخلت تلك المادة فى دبلوم الشريعـــة بالدراسة العليا بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ولكنها دخلت على استحياء ، كأنها تدخل عند غير أهلها ، ولا من تستأنس بهم ، ولذلك كانت مادة اختيارية ، يختارها من يشاء من الطلبـة او يختار غيرها .

وكانت تدرس فى التاريخ الاسلامى فى أجزاء متناثرة موجزة غير مجموعة ولا مضبوطة ولعـل أول من عنى بالكلام فى نظم الحكم فى الاسلام — ولو بشكل موجز ، ولكنه محكم دقيق — استاذنا المرحوم الشيخ محمد الخضرى رضى الله عنه فى كتابه تاريخ الأمم الاسلامية .

ولقد وجدنا من بعده كتبا تأخذ عنوان تاريخ الاسلام السياسى ، وكانت تعنى بالفتوح الاسلامية ، وذكر بعض الفرق وكانت عنايتها قليلة بأصـل نظام الحكم فى الاسلام ، والنظريات التى قام عليها .

٤ — ولقد جاء فى وسط ذلك كتاب الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية دار العلوم ، ليملأ ذلك الفراغ ، وانه لجدير بأن يملأ ، وهو محاولة مسددة جيدة لذلك العمل الجليل الذى كدنا أن نهمله من قبل ، أو أهملناه .

والدكتور ضياء جدير بأن يحمل عبء ذلك العمل الجليل ، فانه ممن تربوا تربية اسلامية عربية ، فليس دخيلا فى هذه الدراسة ، وفوق ذلك قد تزود بزاد من الدراسات الأوروبيــة ، فكان فى بعثة علمية بضع سنين قضـــاها فى انجلترا ، فعلم دراسة المستشرقين للقضـــايا الاسلامية ، ومناهجهم ، وتحيف الكثيرين منهم على الاسلام ، وسطحية الكثيرين ، علم منهـم ما يمكن ان يؤخذ ، وما يرد ، وانه لكثير ، ولذلك اعتمد فى كتابه على الكتب العربية الأصـيلة ، وما اخذ من مستشرق رايا الا اذا كان له أصل عربى اسلامى ، وكان مارد أكثر مما اخذ ما دام قد اتجه الى المعين الأصلى يأخذ عنـــه ، والى المورد الأصيل يرد اليه .

وفى الدكتور ضياء قوة خلق ، وقوة دين ، واخلاص فى طلب الحق ، واستقلال فكرى فى دراسته ، وما يصل اليه من نتائج ، ان اتفق مع غيره فى رأى ، فلا يكون عن تقليد أو اتباع مجرد ، بل عن بينة واستدلال ، وقد قوى تلك الصفات الخلقيـــة والفكرية فيه مثابرة وصبر وجلد على العمل .

عرفت ذلك فيه منذ صباه طالبا يتلقى على ، الى أن صار استاذا عالما سويا ، واعلم ما لاقى فى سبيل استقلال فكره ، وحرصه على دينـه فى انجلترا ، وما لاقى فى سبيل ذلك فى مصر ، حتى اذا حال التعصب بينه وبين لقبة العلمى فى انجلترا ، لم يمتنع عن أن يعمل لنيله فى مصر ، وبين الشقتين كان العناء ، وكانت المثابرة ، وكان الصبر الجميل .

٥ — والـكتاب بلا شك جديد فى بابه دسم فى مادته ، مستقيم فى منهاجه ، وله مقدمة موجزة وان كانت مبينة فى الجملة ، ثم بعدها يدخل فى سبعة فصول .

يتكلم فى الفصـــل الأول عن تكون الدولة الاسلامية ، وأشار الى ان النظريات التى قامت عليها السياسة الاسلامية مرتبطة بالأحـــداث التاريخية ، وان كانت محكومة بالاسلام .

ويبتدىء فى الأدوار التاريخية بعصر النبوة

الذى انشطر الى شطرين متكاملين احدهما قبل الهجرة ، والآخر بعدها ، ويبين ان كل شطر يكمل الآخر ، او ان احدهما مقدمة ، والآخر نتيجتها .

ويبين أن السياسة فى عصر النبى صلى الله تعالى عليه الذى يعتبر الدعامة لما جاء بعده من عصور ـ أساسها الدين : لأن الاسلام دين ودنيا، فهو ينظم العلاقة بين العبد وربه ، وينظم علاقات الناس بعضهم مع بعض ، ويحكم على الأفعال بالخير والشر على اساس الأحكام التكليفية ، ويؤيد ما يقول بالوقائع ، والأحداث التاريخية ، ويزكى كلامه بأقوال المستشرقين ، وما كنا نرضى له بعد أن يثبت بالبرهان ، أن يأتى بشهادات هؤلاء المستشرقين ، فان من يحتاج الى شهادتهم ويقبلها فى الاثبات لما يدعيه ، يوجب عليه المنطق ان تكون فى مرتبة القبول لما يعارضه .

ويتكلم فى مقام اقامة خليفة وأنظار علماء المسلمين اليه ، من حيث أنه من قبيل الأحكام التكليفية او من قبيل العقيدة ، ويفيض فى ذلك ، ويتحدث عن الاجتماع الأول لانتخاب خليفة للمسلمين ، ونشأة الخلافة بعد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويناقش فى ذلك أقوال المستشرقين .

٦ ـ ويجىء من بعد ذلك الفصل الثانى وفيه يتكلم عن نشأة الفرق السياسية الاسلامية ، ويسميها النظريات الاسلامية ، وفى هذا الفصل يشير الى أن **عهد النبى فى الحكم وعهد الراشدين الذى اتبعه وحاكاه هو العهود المثالية ويقول فى ذلك كلمة حكيمة وهى أن العهود المثالية قصيرة الأمد يعرف ذلك كل من يدرس تواريخ الأمم ، ولا سيما تاريخ حركات الاصلاح والانقلابات والثورات فى مختلف العصور .**

ولقد كان عصر النبى والراشدين بعد الهجرة نحو أربعين سنة ، منها ثلاثون بعد وفاة النبى ، ثم كان من بعد ذلك دخول النزعة الملكية فى الحكم الاسلامى .

وقد نبتت منابت الفرق الاسلامية فى عهد عثمان ، واستفلظ سوقها من بعد عهد على رضى الله عنه آخر الراشدين الاربعة ، وهو فى ذلك يشير الى مواطن الخلاف الذى ابتدأ فى سقيفة بنى ساعدة بين قريش وغيرهم .

وفى هذا الفصل يتكلم عن نشأة الحكومة الوراثية فى الاسلام ، وكيف استقبلها المسلمون كارهين لها ،ولكنها مضت والقلوب غير راضية ، والنفوس متململة ، ولكن كان للدعاية لجاجتها ، وان لم ترض عنها القلوب .

ويذكر نشأة الشيعة والخوارج ، ونظريات هاتين الفرقتين المناقضتين .

وبجوار الفرق السياسية التى نشأت كانت الفرقة التى كان لها أثر واضح فى تفسير النصوص التى تتعلق بالعقائد على ضوء العقل والمنطق ، وهى فرقة المعتزلة ، وذكرها ، لأنها كانت فى زعم بعض العلماء سياسية ، وما هى كذلك ، ويتكلم عن مقام أهل الفقه والحديث فى وسط هذه الآراء المتنازعة ، وانهم كروضة يأوى اليها طالب الهدى الاسلامى، كما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويتكلم عن المرجئة بكلام فيه ايجاز .

٧ ـ ويجىء من بعد هذا الفصل الثالث ، فيتكلم فيه عن الامامة الكبرى ، ودراستها دراسة علمية ، واول من اتجه الى ذلك ، ويشير الى من تكلموا من الفرق المختلفة ، فيتكلم عن الخوارج ، ومن تكلم منهم فيها ، والمعتزلة ، ويزعم انهم كانوا خصوم الشيعة ، وسنشير الى وجه الحق فى ذلك ، ويستطرد الى الكلام فى الشافعى ورايه فى الاجماع ، ووضع علم أصول الفقه ولا يضن على القرطاس ببيان خطأ بعض المستشرقين وأوجه الخطأ .

ثم يتكلم فى هذا الفصل عن الفرق بين الامامة والخلافة والملك ، ويشير الى الفرق بين الامامة الاسلامية ، وما كان سائدا قبل الاسلام من حكم استبدادى يمثله حكم قيصر وكسرى .

ويبين الفرق عند الشيعة بين الامام والخليفة، وكيف كانوا لا يضنون على الحكام من مخالفيهم بوصف الخليفة ويضنون عليهم بوصف الامام ، ثم يبين أدوار الخلافة .

٨ ـ وينتهى من بحثه الى أن الامامة هى الحكومة التي يكون أساس الحكم فيها هو الشرع

الاسلامى ، ثم يتكلم فى الفصل الرابع عن الحكم التكليفى للامامة ، أهى واجبة بمعنى أن اقامة امام واجب وجوبا كفائيا على المسلمين ، ويبين الرأى الذى يقرر ذلك الوجوب ، وسنده من الشرع ، من الاجماع وأقوال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وما شرعه الاسلام من وجوب دفع الضرر وجلب الصالح ، وينقل عن الماوردى فى الأحكام السلطانية قوله : **مما تصلح به الدنيا حتى تصير احوالها منتظمة وامورها ملتئمة سلطان قاهر تتالف برهبته الأهواء المختلفة ، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة ، وتنكف بسطوته الأيدى المتغالبة** » ويذكر فى هذا الفصل أن من أسانيد الوجوب تنفيذ الواجبات الدينية وتحقيق العدل بين الناس .

ويذكر أن أقلية من المسلمين قالوا ان اقامة امام من الأمور الجائزة ، لا من الأمور الواجبة ، ويذكر ادلتهم . وانه لا يكتفى فى هذا الفصل بذكر الأدلة النظرية ، بل يسرد الوقائع التاريخية ، وما وجهت به الآراء ، فقد رأى الناس أن الخلافة تتدلى الى الملك ، ويتسمى الملوك باسم الخلفاء ، بل باسم الأئمة ، ثم يتدلى الأمر حتى صارت حكومات تحكم باسم الاسلام ، وهو منه براء .

وقد بين انه خلف من بعد هؤلاء وأولئك خلف غير صالح أخذ يقرر أن الاسلام عقيدة وعبادة فقط وانه لم ينظم الحكم ، وليس له فيه سياسة ، وقد بين الكاتب بطلان ذلك القول فأبطل أساسه، وأبطل ما قام عليه ، وقد أجاد كل الاجادة فيما قال من ردود قوية .

٩ ــ وفى الفصل الخامس تكلم فى عقد البيعة للامام أو الخليفة ، وقد تعرض له من قبل بالاشارة ، وبين انه حقيقة واقعة قد تخيلها الكتاب فى أوروبا فى القرن السابع عشر ، فتخيلوا نظرية العقد الاجتماعى ، واتجهوا فيها الى مذاهب شتى ،فسلك فى تصويرها جان جاك روسو مسلكا ، وسلك كل من هوبز ولوك الانجليزيان مسلكا آخر ، وكل هؤلاء كانوا يتصورون عقدا بين الأمة وحاكمها ، وقد أشار الكاتب الى أن ما تصوره هؤلاء ، قد حققه الراشدون حقيقة واقعة بالاختيار ، وحاول تحقيقها من جاء بعدهم .

وقد تصدى لبيان مقدار قوة عقد البيعة وآثاره ، ووجوب احترامه والوفاء به على أساس انه عقد من العقود التى يجب الوفاء بها ، ولا يجوز للحاكم أن يخيس فى وعده ، فيقيم العدل ، وينفذ أحكام الدين ، ويلتزم شورى المؤمنين ولا يجوز لأحد من الأمة ــ ما دام الحاكم قائما بحق العقد ، بقيامه بالقسط ، وتنفيذه احكام القرآن والسنة ، وهما دستور الأمة وقانونها الأساسى ــ أن يخرج عليه ، أو لا ينفذ ما يأمر به فى دائرة أمر الله ونهيه ، والا كان باغيا يجب قتاله .

وان العقد لا يكون واجب التنفيذ الا اذا تحققت حرية التعاقد فيه ، فيكون بالاختيار والرضا الذى لا اكراه فيه ، فليس لمستكره عقد ولا يمين .

وقد تناول فى تكوين العقد ، ومن يتكون منهم الكلام بالتفصيل الوافى ، والبيان الواضح ، وسرد الأقوال فى بيان محكم جيد ، قد ميز بعضها عن بعض ، وساق ادلة كل فريق .

ثم تكلم من بعد ذلك على ولاية العهد ، وأنواعها ، وما يجب أن يتوافر من شروط لسلامتها ، وأوجب معها عقد البيعة الذى هو مناط الولاية وتنفيذ الأحكام .

وبين فى استفاضة أن **الامامة لا تورث ، وان وراثتها لا تجوز عند جمهور المسلمين .**

وتكلم عن وحدة الامامة ، وجواز تعددها عند بعض الفرق الاسلامية ، وبين أن وحدة الامامة هى الأساس ، ثم تكلم من بعد ذلك على وحدة الأمة الاسلامية ، وتكلم فى واقع الأمة الآن ، وما يجب اتخاذه لتنفيذ أمر الاسلام من غير خروج على حكم الواقع الذى جعل المسلمين متفرقين فى مشارق الأرض ومغاربها .

١٠ ــ ولقد كانت الفصول السابقة فى الامامة الكبرى ، وابتدأ فى الفصل السادس فى الولايات التى دونها ، وقد قسم الولاية الى :

ولاية تفويض تكون بعقد بين الامام ومن يوليه ،وهو فى عقده يتولى عهد الأمة ، والى ولاية تنفيذ ، وهو يتولى ذلك من غير عقد ، لأن المنفذ يتولى التنفيذ باذن منه ، وكأنه شخصه ،

وهو فى هذا التقسيم ينقل ما جـاء فى الأحكام السلطانية للماوردى .

وللحاكم الأعلى أن يعزل والى التنفيذ فى أى وقت ، أما والى التفويض فقد اختلف فيه الفقهاء، فقيل بالمنع الا لسبب ؛ لأنه فيه نائب عن الأمة ، والأمة ترجع اليها آثار العقد ، وقيل بالجواز ، لأن الامام هو المسـئول الأول فى كل الأحوال والصور ، ولكى تستقيم الأمور ، ولا تتعقد .

ويفيض الكاتب فى بيان واجبات الامام والولاة، ثم يقسم الولايات كتقسيم الماوردى فى الأحكام السلطانية .

١١ ــ وفى الفصل السابع يتكلم عن عـلاقة الأمة بالحاكم فى الفقة الاسلامى فيذكران اول واجب هو العدل ، ويسوق الآيات والأحاديث والأخبار الدالة على أن أساس الحكم فى الاسلام هو العدل .

وأساس العـدالة المساواة المطلقة ، أمـام القانون .

ويذكر ان الواجب مع العدل هو العمران ، أو ما يسمى فى لغة العصر بالتنظيم الاقتصادى ، ويجب أن يكون ذلك الاقتصاد قائما على العدل . والواجب الثانى ــ هو الشورى ، وهى القاعدة الثانية التى تلى العدل فى ميزان الحكم ، وصلة الراعى بالرعية ، ويســوق الأدلة الكثيرة التى تثبت أن الشورى أصل الحكم الاسلامى ، وانه لا يبيح الاستبداد .

والقاعدة الثالثة التى يقوم عليهم الحكم اعتبار الحكم تبعات ومسئوليات ، وليس متعة وشهرة، ويعتمد فى ذلك على أحاديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى ما كان يفعـله الراشدون ، وما قرروه ، وما التزموه ، وان ذلك بلا ريب ثمرة لعقد المبايعة الذى التزم بمقتضاه القيام بالعدل ، ورعاية المصلحة ورفع الفساد ، والأخذ بالشورى فى عامة الأمور وجلائلها .

واذا لم يقم بحق العهد الذى التزمه بأن ظلم وبغى ، أو فسق عن أمر ربه وطغى ، فانه يكون مستحقا للخلع ، ويجب العمل على خلعه من غير فتنة ، ومن الفقهاء من يقول انه يصير مخلوعا بمجرد خروجه عما يوجبه العقد الذى عقده .

ويسوق كلام الفقهاء الدال على ذلك من غير تزيد فيه ، أو حمل له على غير معانيه .

وانه لا يكتفى بما يستشهد من نصوص ، بل أنه يبين بطلان من يزعم انه لا تبعات على الحاكم ، ويتتبع أقوال المستشرقين فينقضها قولا قولا .

١٢ ــ وقد ختم كتابه بخاتمة ، ولم تكن هذه الخاتمة نتيجة كلامه وثمرته أو فذلكتـه ، كما ينبغى أن يكون ، بل ان هذه الخاتمة كانت تتبعا لأقوال المستشرقين ، وردها ، وبيان مخالفتها للمصادر العلمية الاسلامية .

وقد ضمن هذه الخاتمة الفوارق الواضحة بين خواص الدولة فى الاسلام ، وخواصـها فى العصور الحديثة ، وينتهى من هذا الجزء من البيان بقوله :

« فالدولة الاسلامية اذن ، على هذه الصورة نظام فريد خاص بالاسلام ، لا يصح القول بانه يتطابق مع أى من النظم المعروفة » .

١٣ ــ وفى الحق أن الكاتب قد استولى فيما كتب على موضوعه تفكيرا وتعبيرا ، ودقة وعمقا ، واحكام عرض ، وحسن تأت لدقائق المسائل ، ومختلف الأقوال .

وانه لمن غمط الكاتب والكتاب حقه أن نقول أننا لم نلاحظ عليه شيئا ، فانه قلما يخلو كتاب عميق قيم من بعض الملاحظات وبمقدار عمقـه ودسمه تكون الملاحظة عليه .

وقد لاحظنا عليه ملاحظات فى تقسيماته ، وموضوعاته يصل بعضها الى درجـة الخطأ ، وبعضها الى درجة القصور ، ولنذكر بعضها من غير احصاء لها .

١٤ ــ ومن ذلك ما يأتى :

(أ) انه قال ان السلف سموا المعتزلة بهذا الاسم ، لأن **الحسن البصرى قال لواصل بعد ان** سمع رايه فى مرتكب الكبيرة اعتزل مجلسـنا ، فاتخذ له مجلســا . وان ذلك الكلام يوهـم القطيعة بين الحسن وواصل ، والواقع انهمـا كان على صلة أدبية وثيقة الى ان مات الحسن ، **وفوق ذلك فان صاحب المنية والأمل وهو المرتضى** قرر أن الحسن كان من المعتزلة ، ومع ذلك

أيضا فان الحسن لم يكن قوله فى مرتكب الكبيرة خيرا من قول واصل ، بل انه قرر أنه منافق يظهر الاسلام ويبطن غيره ، ويتخذ من اعلان الكبيرة والاصرار عليها دليلا على النفاق ، وقد ادعى الكاتب ان الحسن كان على راس المحدثين فى عصره ، وكنت أود أن يشير الى عدم قبول بعض المحدثين ، كالبخارى وغيره الرواية عنه ، لاتهامه بالقول فى القدر ، ولو قال كبير الواعظين لكان أصدق : والا فاين هو من سعيد بن المسيب، والشعبى وغيرهم من محدثى التابعين ، ولم يثبت انه رجع عن كلامه فى القدر .

(ب) انه لم يفصل القول فى الشيعة ، فلم يميز فرقها ، وكان حقا عليه أن يبين الذين انتسبوا الى الشيعة وقد خرجوا على الاسلام كالسبئية ، والغرابية ، ويبين الذين لم يخرجوا عن الاسلام كالزيدية ، والاثنا عشرية ، والاسماعيلية الذين لم يخرجوا عن الاسلام ، وهم الذين لم يقولوا بالحلول .

ولعل الشيعة أشد من تكلموا فى الامامة ، وسلطان الامامة ، وكيف يكون الامام ، والفرق بين أقوالهم ، ومن يقولون بوراثة الامامة .

(ج) وقد جاء فى ص ٨٣ ما نصه : « اما المعتزلة فكانوا خصوم الشيعة المقابلين لهم فى كل شىء ، وقد عارضوهم فى مسائل الامامة كما عارضوهم فى مسائل التشبيه وغيرها .. » .

وان فى هذا الكلام حقا ، وفيه خطأ ، وخطؤه فى التعميم ، وهو أن المعتزلة قد عارضوا الشيعة فى كل شىء .

والحق أن المعتزلة قاوموا الذين تسموا باسم الشيعة وهم خارجون على الاسلام كالذين قالوا بالحلول والتشبيه والتجسيم ، وهم الذين قاومهم واصل بن عطاء والنظام والجاحظ ، وغيرهم من أئمة المعتزلة ، وأما ما يتعلق بالعقائد وتفسيرهم لها ، فانهم يتلاقون مع الشيعة غير الخارجة عن الاسلام ويبدو ذلك فيما يأتى :

١ — ان صاحب المنية والأمل وهو المرتضى من الشيعة ، ويجعل آل البيت جميعا على منهاج المعتزلة .

٢ — أن واصل بن عطاء كان ممن لازموا زيد ابن على ، وقالوا ان زيدا رضى الله عنه أخذ عنه عقائد المعتزلة .

٣ — أن كثيرين من كتاب الشيعة يصرحون بأن آراءهم فى تفسير العقيدة تتفق مع آراء المعتزلة ، وقد قرر ذلك ابن ابى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة للامام على كرم الله وجهه .

٤ — ان آراء الشيعة من زيدية واثنا عشرية وغيرهم لو درستها فى كتبهم لوجدتها فى جلها متفقة مع آراء المعتزلة فيما يتعلق بالعقيدة .

(ج) وقد تكلم الكاتب الباحث فى مسئولية الامام أو الحاكم بكلام قيم ممتاز ، ولقد كان كلامه يبلغ حد الكمال لو بين أن الفقهاء اجمعوا على أن الامام لو ارتكب جريمة توجب القصاص لوجب القصاص منه ، وأنه لو ارتكب جريمة توجب الحد ، قررت الكثرة العظمى انه تجب اقامة الحد عليه، ولم يخالف فى ذلك الا أبو حنيفة .

ولقد قرروا أنه فى حال وجوب القصاص يجب على جماهير المسلمين ان يعينوا المجنى عليه حتى يقتص له .

١٥ — هذه بعض ملاحظات أوجب التحقيق العلمى ذكرها ، وهى لا تغض من قيمة الكتاب ، وقيمة كاتبه ، فهو من عمل البشر ولا يوجد كتاب كامل الا كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولقد قال تعالى « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » : صدق الله العظيم .

محمد أبو زهرة

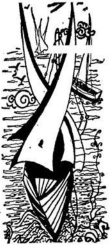
ديوان ابراهيم طوقان

يدفعنى للكتابة عن هذا الديوان أنه لم يكتب عنه من قبل ، وأن صاحبه شاعر فلسطين غير مدافع ، وأن مؤرخى الأدب ونقاده فى مصر لم يترجموا له ، ولم يقـــدموا نماذج من شعره فيما ألفوا ، وأن جمهور القراء فى مصر لم يطلع على شعره كمـــا أشرت الى ذلك فى الصفحة الثامنة والعشرين بعد المائة من كتابى « الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين » عنـــدما تناولت الحياة الفكرية والادبية فى فلسطين فى ظل الانتداب البريطانى وقد أطل شـاعرنا على رحاب الوجود سنة ١٩٠٥ ورحـل عن دنيانا سنة ١٩٤١ ولم تتح له حياته القصـيرة نشر ديوانه وبعد اربعة عشر عاما وفى سـنة ١٩٥٥ تولت دار الشرق الجديد فى بيروت نشر الديوان فى حلة قشيبة من الطباعة والاخراج ورصعته باللوحات والرسوم .

ويبدأ الديوان بقصيـــدة رثاء للشـــاعر رثاه بها صديقه الأستاذ جـلال أمين زريق فكلمة لشقيق الشاعر الأستاذ أحمد طوقان ابان فيها الأسباب التى أخرت نشر الديوان ومن اهمها وقوع مأساة فلسطين كمــا أوضح ان الديوان ــ على الصورة التى ظهر فيها ــ من عمل الشاعر قبل موته فهو الذى أختار القصائد ورتبها بعد ان حذف وعدل ونقح فيها .

يلى ذلك مقدمة لشقيقه الشـــاعر فدوى





الناشر : دار الشرق الجديد - بيروت - ٢٢٢ ص ١٧×٢٤ سم

طوقان وهى مقـــدمة طويلة استغرقت اثنتين وعشرين صفحة والواقع انها ليست مقـــدمة بالمعنى المفهوم لانها لم تتنـــاول مادة الديوان الشعرية بقدر ماتناولت حياة الشاعر ومراحل تطورها ، وميادين العمل التى خاضها . وقد كانت هذه المقـــدمة فى الأصـــل بحثا نشرته الشاعرة عن أخيها فى كتيب صغير من سلسلة الثقافة العامة التى اصدرت المكتبـة العصرية فى يافا اعدادا منها قبل المأساة وعنوان البحث « أخى ابراهيم » وتاريخ نشره سنة ١٩٤٦ .

وابتداء من الصفحة الخامســة والثلاثين تطالعنا المادة الشعرية فى الديوان موزعـة على ثمانية اقسام بالترتيب الآتى : الوطنيـــات ، السياسيات ، الغزليات ، المتفرقات ، المراثى ، مصرع بلبل ، الأناشيد ، مرابع الخلود وقـد اضاف الأستاذ أحمد طوقان اليها قسما تاسعا بعنوان قطع مبعثرة ومصرع بلبل قصيدة رمزية تمثل الواقع فى حياة المدينة الكبرى حين يدخل غمارها الشاب القادم من البـــلدة الصـــغيرة أو القرية البسيطة فتخلبه بفنون لهوها والوان عبثها ، وتجـذبه فيرتمى بين أحضانها وتودى به الضلال ثم تسفر هذه الحياة عن وجه كالح هنالك افلاس اما فى المال واما فى الصحة فى المستقبل واما فى الثـــلاثة جميعا حيث تتمثل الفاجعة الأبدية ، أما البلبل فرمز الشاب المخدوع واما الوردة فرمز بائعة اللهو والعبث ، وأما الروض فرمز الحانة أو الملهى . وتقـــع القصيدة فى حوالى ثمانين بيتـــا واما مرابع الخلود فقصيدة القاها الشاعر فى حفل الذكرى الألفية للمتنبى سنة ١٩٣٥ .

وشعر الوطن فى ديوان ابراهيم يشـمل الوطنيات والسياسيات والمراثى والأناشيد لأن الشاعر كان يخص المرثى بأبيات قليلـة ينتقل بعدها الى قضية الوطن المنكوب وبحسبنا ان نقدم مثالا على ذلك قصيدته فى رثاء المرحـــوم موسى كاظم الحسينى التى نال المرثى منهـــا تسعة أبيات فقط وكانت البقية فى قضية الوطن ومنها يقول :

وطنى أخاف عليك قوما اصبحوا
يتســـاءلون من الزعيـم الأليق
لا تفتحوا باب الشـــقاق فانه
باب على ســـود العواقب مغلق
والله لا يرجى الخـــلاص وأمركم
فوضى ، وشمل العاملين ممزق
أما الزعامـــة فالحوادث امها
تعطى على قدر الفـــداء وترزق

وكما تعتبر المراثى قصـــائد وطنية تعتبر أناشيد الشاعر كلها أناشيد وطنية .

وشـــعر ابراهيم فى وطنياته وسياسياته ومراثيه واناشيده صورة صادقة لحبه لوطنه ، وتفانيه فى خدمته ، واشفاقه عليه من دسائس الاستعمار والصهيونية ، ومرآة انعكست عليها حالة فلسطين السياســـــية والاجتماعيـــة والاقتصادية فى ظل الانتداب البريطـانى الذى فرضته بريطانيا لتحقيق وعد بلفور ، وتجعل من فلسطين دولة يهودية بعد اجلاء أهلها عنها أو ابادتهم بشتى الوسائل والسبل لنستمع اليه من مقطوعة عنوانها أيها الأقوياء ص ٧٦ نظمها سنة ١٩٣٥ موجهة الى حكومة الانتداب تصور حالة شعب فلســطين تحت نـار الانتـداب وتغيض بالسخرية من الدولة المنتدبة .

قد شهدنا لعهدكم بالعـدالة
وختمنا لجندكم بالبســـاله

وعرفنــا بكم صديقا وفيــا
كيف ننسى انتـدابه واحتلاله

وخجلنــا من لطفكم يوم قلتم
وعـــد بلفور نافذ لا محــاله

ولئن ســـــاء حالنـا فكفانا
أنكم عنـــدنا بأحسن حالة

غير أن الطريق طالت علينــا
وعليكم فمالنا والاطـــــالة

اجـلاء عن البــلاد تريدون
فنجلو أم محقنــــــا والازالة

ويقول من مقطوعة عنوانها «١٠٠٠» ص ٧٩ نظمها سنة ١٩٣٥ أيضا ورقم الألف هو وحـدة الهجرة اليهودية التى فتحت حكومة الانتـداب لها أبواب فلسطين .

أرى عـــددا فى الشـؤم لا كثـلاثة
وعشر ، ولكن فاقه فى المصـــائب

هـو الألف لم تعرف فلسطين ضربة
أشد وانكى منـه يوما لضـــارب

يهـــاجر الف ثم الف مهـــربا
ويدخل الف ســــائحا غير آيب

والف جواز ثم الف وســــيلة
لتسهيل ما يلقونه من مصـــاعب

وفى البحر آلاف كأن عبـــــابه
وامواجـــــه مشحونة فى المراكب

بنى وطنى هل يقظة بعـد رقـدة
وهل من شعاع بين تلك الغياهب ؟

لقد استلهم ابراهيم طوقان فى شـعره كل جانب من جوانب محنة فلسطين واستوحى كل حادثة ، ووقف عند كل مظهر فكان شعره ثورة على بلفور ووعــده والانتـداب وجنــــاياته والصهيونية واهدافها . **كما أيقظ هذا الشعر وعى عرب فلسطين وبصرهم بمـــا يراد بهم ، وألهب مشاعرهم ومجد البذل وقدس التضحية، وكرم البطولة وخلد الأبطال والشهداء وصورهم فى أزهى الصــور . ودعا قومه الى وحـــدة الصف والمحافظة على الأرض وصيانتها ولقد غدا هذا الشعر ســلاحا فتاكا فى المعركة التى خاضها عرب فلسطين ضد الانتداب والصهيونية جعل حكومة الانتداب تطارد الشعــراء وتسن قانونا ينص على ان جريمة التحريض على الثورة باللسان أو بالقلم جناية عقابها السجن لمـــدة سنوات** . ويطول بى المقـام اذا سقت النصوص الشعرية فى الديوان والجوانب التى استلهمتها ولكنى اقف عند نص واحـد تنبأ فيه الشاعر بمأساة بلاده قبل وقوعها بثلاثة عشر عاما اذ نجد فى الصفحة السابعة والثمانين من ديوانه قصيدة عنــوانها « منــاهج » يرجع تاريخ نظمها الى سنة ١٩٣٥ وقد كانت هذه السنة فى فلسطين مليئة بالأحـداث والخطوب وفيها يقول :

امامـــك أيها العربى يـوم
تشيب لهوله ســود النواصى

مصيرك بات يلمســـه الأدانى
وســـــار حديثـه بين الأقاصى

فلا رحب القصـــور غدا بباق
لســاكنها ولا ضيق الخصاص

لنا خصـــمان ذو حول وطول
وآخر ذو احتيال واقتنــاص

تواصـــــوا بينهم فأتى وبالا
واذلالا لنـــــا هذا التواصى

مشـــاهج للابادة واضحـــــات
وبالحسنى تنفذ والرصـــاص

وقد صدقت نبوءة الشاعر فى سنة ١٩٤٨ واقبل اليوم الرهيب الذى اشـــاب النواصى السود ، واضاع الدور والقصـــور على ان اروع شـــعر ابراهيم الوطنى هو ذلك الشعر الذى خلد به شهداء فلسطين وقصيـــدتاه الشهيد ص ٣٦ والفدائى ص ٦٥ من اعلى طراز فى الشعر المعاصر دقة وصف وروعة تصـــوير وفيهمـا يصور لنا ما يجول فى نفس الشهيد من عواطف وما يتقد فيها من حب للتضحية لا يبغى من وراء ذلك خلود اسم او اكتساب شهرة ، وقد ارتفع فيهما الى النطاق العام وابتعد عن الجو الخاص والمناسبة الخاصة وقد وفق السادة الأساتذة الاجلاء محمد خلف الله احمد وعمر الدسـوقى وزملاؤهما فى اختيار قصيـــدة الشهيد كنص مقرر على طلبة الثانوية العامة وطالباتها فى العام الدراسى الحالى . وهـــذه اول مرة فيما اعلم يختار فيها واضـــعو نصوص الثانوية العامة شعرا لشاعر من فلسطين ولقد اثلج هذا الاختيار صـــدرى لأنه سيتيح لعـــدد كبير من المثقفين الاطلاع على شعر الشاعر . ومن اعماقى اشكر للسادة المؤلفين حسن اختيارهم .

ويقـــول ابراهيم طوقان من قصـــيدة « الشـــهيد » .

عبس الخطب فابتسم
وطغى الهـــول فاقتحم
رابط الجـاش والنهى
ثابت القلب والقـــدم
نفســــــه طوع همة
وجمت دونهـــا الهمم
تلتقى فى مزاجهــــــا
بالأعاصير والحمـم
وهى من عنصر الفـداء
ومن جوهـــر الكرم
ومن الحق جـــذوة
لفحها حـــرر الأمم

وكما ابدع الشاعر فى شعره الوطنى ابدع واجاد فى شـعره الغزلى فصـــور فنون هواه



وسعادة وصله ، ولوعة الهجران اجمل تصوير لنستمع اليه فى مقطع من قصيدته « حملتنى نحو الحمى اشجانى » ص ٩٨

ذاكر انت عهـدنا ياغـــدير
يوم كنا والعيش غصن نضـير
وعلى ضفتيـك كنا نسـير
فرويت الحـــديث عنا شـجونا
واخـــذنا عليـك الا تخـــونا
فاعد لى ذاك الحـــديث فانى
اذهلتنى النـوى عن التـذكار

ويقول من قصيدة عنوانها «حيرة» ص ١٠٢

ما كنت ارغب ان اسمى قاسـيا
فانفر الأحـــــلام من عينيها
والشـــوق يدفعنى الى ايقاظها
ويدى تحـــاذر ان تمـد اليها
وكانما شــــعر الرقاد بنعمـــة
فاقام غـير مفـــارق جفنيها
ويل لقلبى كيف لم يفتـــك به
مـــــــرأى تقلبها على جنبيها
وتنهـــــدت مما تكن ضـلوعها
يا شـــوق ويحك لا ترع نهديها
حسبى جوى انى نظرت لشعرها
ينكب مرتشـــفا ندى خـديها

وأغار منه أذا اطمأن بها الكرى
ويثيرني متوسـدا زنديهـا

***

ارنو بلهفة عاشق لم يبق من
صبر لدى وقد حنوت عليها

فيصدني ادبى فأبعد هيبة
واود لو اجثو على قدميها

فالنفس بين تهيب مما ترى
وتلهب فاحترت فى امريهـا

اما المتفرقات فهى قصائد تناولت كل قصيدة منها موضوعا واحدا وتضم ستة قصائد ملائكة الرحمة وهى وصف جميل للممرضات . والحبشى الذبيح وهى وصف للديوك الحبشية التى تذبح فى أفراح المعيدين لتكون (عروس الموائد) وتشبهها فى ذلك الأمم المغلوبة على أمرها .

ونعمة العافية والدم الخفيف ومناجاة وردة والشاعر المعلم وقد شاء القدر لابراهيم ان يمارس مهنة التعليم ويلقى فيها الأهوال والصعاب فيدفعه ما لقى الى معارضة قصيدة شوقى ـ يقول ابراهيم طوقان فى معارضة لشوقى فى الوان من الدعابة ص ١٤٤ .

شوقى يقول وما درى بمصيبتى
« قم للمعلم وفه التبجيلا »

اقعد فديتك هل يكون مبجلا
من كان للشيء الصغار خليلا

ويكاد (يفلقنى) الأمير بقوله
« كاد المعلم ان يكون رسولا »

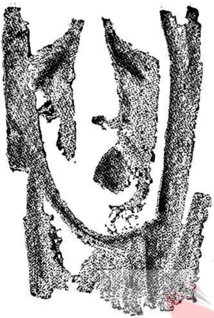
لو جرب التعليم شوقى ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا

***

حسب المعلم غمة وكآبة
مرأى الدفاتر بكرة واصيلا

مئة على مئة اذا هى (صلحت)
وجد العمى نحو العيون سبيلا

ولو ان فى (التصليح) نفعا يرتجى
وابيك لم أك بالعيون بخيلا



لكن أصلح غلطة نحوية
مثلا واتخذ الكتاب دليلا

مسترشدا بالقرآن من آياته
أو بالحديث مفصلا تفصيلا

واغوص فى الشعر القديم فانتقى
ما ليس ملتبسا ولا مبذولا

واكاد أبعث (سيبويه) من البلى
وذويه من أهل القرون الاولى

فارى ... بعد هذا كله
رفع المضاف اليه والمفعولا

***

لا تعجبوا ان صحت يوما صيحة
ووقفت ما بين (البنوك) قتيلا

يا من يريد الانتحار وجدته
ان المعلم لا يعيش طويلا

اما القطع المبعثرة التى اضافها الأستاذ احمد طوقان فتضم ثمانى مقطوعات فى الغزل .

وتبدو خصائص الشاعر الفنية فيما قدمنا له من نماذج قليلة فهو شاعر موهوب نمى موهبته الشعرية بالادمان فى قراءة عيون الأدب العربى ، وكان كتاب الأغانى أحب الكتب الى نفسه . وقد اتسعت ثروته اللغوية ، وسما ذوقه الأدبى فأحسن اختيار الفاظه ، ووفق فى صياغة عباراته لم يستعص عليه لفظ ، ولم يتأبى عليه تركيب .

وموسيقاه الشعرية شجية النغم حلوة الرنين تتلون بلون عاطفته ويبدو هذا التلوين فى تعدد نظام قصائده فتارة تكون القصائد من وزن واحد وقافية واحدة ، وتارة ثانية تكون من وزن واحد وقافية متعددة ، وتارة ثالثة تسلك نهج الموشحات .

وصوره الحسية والمعنوية ناطقة بانطلاق خياله وقوته وقدرته على الخلق والابداع . وبحسبنا ان نشير الى الصور الرائعة التى تضمنتها قصيدته الشهيد .

فالشهيد يبتسم اذا عبس الخطب ، وينتقم اذا طغى الهول ، ونفسه طوع همته التى ضعفت الهمم دونها وهى ليست من نفوس البشر ولكنها من عنصر الفداء ومن جوهر الكرم وهى جذوة من الحق حرر لفحها الأمم . والى ما احتوت عليه قصيدته حيرة من صور بديعة تتغير الاحلام من العينين — شعور الوفاء بالنعمة — الشعر الذى يرتشف ندى الخدين .

والعاطفة عند الشاعر متوهجة تحس ضرامها فى كل قصيدة ومقطوعة وتنقلك هذه العاطفة الى جو الشاعر فتعيش معه فى فرحه وحزنه وسعادته وشقائه وفى المه وامله .

وقد جمع الشاعر فى شعره بين الصدق الفنى والشعورى وزاد من قيمة شعره تفاعله مع محنة بلاده واستجابته لنداء وطنه . ودعوته لتحرير امته العربية .

وإذا كان لنا من ملاحظات على الديوان فاننا نوجزها فى ثلاث :

الأولى : ان الديوان لم يضم كل ما قال الشاعر فهناك عدد من القصائد لم تنشر فى الديوان اطلعنا على قسم منها فى مخطوطة الشاعر نفسه ، وورد قسم ثان منها فى كتاب شاعران معاصران ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابى للدكتور عمر فروخ زميل الشاعر فى الجامعة الأمريكية فى بيروت وقسم ثالث فى كتاب ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب للدكتور زكى المحاسنى وقسم رابع فى كتاب الوطن فى شعر ابراهيم طوقان للبدوى الملثم ومن هذه القصائد قصيدة طويلة فى تحية مصر يقول منها

اليك يا مصر ايمائى وملتفتى
ونور نهضتك الغراء يهدينى

ولى أواصر قربى فيك ما برحت
لما مضى ذات توثيق وتمكين

شقوا القناة عساها عنك تبعدنى
انى ؟ ومن لغتى جسر سيدنينى

الملاحظة الثانية : اننا كنا نؤثر رد الاقسام الثمانية التى وزعت المادة الشعرية عليها الى اربعة هى أولا الوطنيات وتشمل السياسيات والأناشيد . وقد قررت قبل قليل ان جميع اناشيد الشاعر وطنية . ثانيا الوجدانيات ونعنى بها قصائد الغزل بنوعيه الحسى والمعنوى ثالثا الوصف ونعنى به المتفرقات رابعا المراثى .

الملاحظة الثالثة : اننا كنا نود ان تقدم كل قصيدة من قصائد الديوان بكلمة توضح الجو الذى قيلت فيه على نمط ما اتبع فى قصائد حطين ، ومرابع الخلود ، والحبشى الذبيح .

وسلام على ابراهيم طوقان شاعر فلسطين فى الخالدين .

كامل السوافيرى

تاريخ الحضارة الإسلامية

والفكر الإسلامي

ان الكتاب الذى يحمل عنوانا هاما ، يدفع الدارس الى تمحيص أبوابه ووصوله لكى يفيد من اضافة مبتكرة أو جهة نظر شخصية تثرى وتعمق من ثقافتنا . فماذا نجد فى هذا الكتاب اذا أردنا تقييمه ؟ حاول المؤلف أن يعطى القارىء فكرة عامة عن موضوع خطـــير هو الحضارة الاسلامية . ولذلك تعرض لمعظم جوانب هـــذه الحضارة موفقا فيما يتعلق بتخصصه وهو تاريخ الفقه الاسلامى وان لم يوفق فى الجوانب التى لم يتعمق دراستها .

ففى الفصل الاول يعرض لمفهوم نظـــرية الحضارة عموما ويحاول أن يعرفها ويتطرق الى نشأتها وتطورها من خـــلال عناصرها وعوامل تكوينها ويحاول تطبيق هذه النظرية على الحضارة الاسلامية بالذات . لذلك يستعرض احـــوال العالم والعرب قبل الاسلام .

وفى الفصل الثانى يتحدث عن جيران العرب من الفرس والروم ويصف طبيعة جزيرة العرب واوضاعها السياسية .

وفى الفصل الثالث يتكلم عن أصول الحضارة الاسلامية فيبدأ بالقرآن الكريم والسنة النبوية . ثم يقدم لنا التشريع الاسلامى فى نواحيه المتعددة من معاملات وحدود وآداب واذ يعرض لموضوع الجانب الاقتصادى فى التشريع يوضح لماذا حرم الاسلام الربا وكيف ينهى عن تكديس المال لكيلا يكون دولة بين الأغنياء .

وفى الفصـــل الرابع عرض لنظـــم الحكم وديمقراطية الاســـلام فى انتخاب راس الدولة وناقش قضية تخصيص الخلافة بقريش ، وهى قضية قديمة شغلت المسلمين .

ثم عقد دراسة مقارنة موجزة بين الخلافة المتزمة بالشورى ونظم الحكم الأخرى واذ ينتهى من عرض الأساس الدستورى الذى يقوم عليه رأس الدولة الاسلامية يوضح أسلوب ممارسته للادارة ويخلص الى موضـــوع الوزارة فيوقف القارىء على الأصول اللغوية لكلمة وزر . ثم يبين الصفات اللازمة فى الوزير . ونرى كيف اعتبر أبو بكر وزيرا للنبى وكيف لم يكن للخلفـــاء الراشدين وزير معين . اما عن الأمويين فلقد ظهر من يقوم بمهام المنصب دون اطلاق اللقب عليه وفى عهد العباسيين ظهر من يجمع بين مهام المنصب واللقب . وظل الوزراء يمارسون مهام منصبهم حتى تلاشى نفوذهم فى أواخر الدولة العباسية وظهر بدله منصب امير الأمراء الذى تمتع به بنو بويه ثم انتقل الى السلاجقة واستمر هذا اللقب حتى سقوط بغداد .

اما فى الأندلس فوجد ما يعـــرف بالوزير المخصص فى المالية أو العدل وارفعهـــم شـــأنا ما يباشر السلطان فى كل وقت واسمه الحاجب .

والوزارة نوعان تنفيذ وتفـويض ، والأولى محدودة السلطة بعكس الثانية . ولقد ظهـــر منصب الحجابة فى النظم الاسلامية على عهـــد الأمويين بعد أن كان النبى والخلفاء الراشدون لا يحجبون أحدا . والعباسيون هم الذين عددوا من الحجاب خصوصا فى العصر المتأخر . اما فى الأندلس فلا ينس أحد سلطان الحاجب الخطير المنصور بن ابى عامر .

ومن وظيفة الحاجب الاشراف على أمـــور الكتابة للخليفة او الامام . وهذه الوظيفة قد تطورت من البســـاطة الى التخصص فى العصر الأموى فظهر كاتب للرسائل وآخر للخراج وثالث للجنـــد ورابع للشرطة وخامس للقاضى . وفى

تأليف : أبو زيد شلبى

الناشر : مكتبة وهبه
٣٨٧ صفحة ٢٤×١٧ سم

العصر العباسى ظهر كتاب مبرزون مثل يحيى والفضل وجعفر من البرامكة والفضل بن الربيع والحسن بن سهل واحمد بن يوسف . ثم **استقلت الكتابة عن الوزارة وظهر ما نسميه برئيس ديوان الانشاء** . وكلمة ديوان فارسية . ولم يوجد الديوان فى عهدى النبى وابى بكر . وفى عهد عمر اتسعت البلاد فدونت الدواوين . أما فى العصر الأموى فصار هناك ديوان الجند وآخر للخراج وثالث للرسائل ورابع للخاتم وخامس للبريد . واهم حدث فى تاريخ الادارة الاسلامية تعريب الدواوين على يد عبد الملك ابن مروان . والعباسيون استحدثوا :

١ – ديوان الزمام (المحاسبة) .
٢ – ديوان الأكريه (أشغال الرى) .
٣ – ديوان الأحداث .
٤ – ديوان البريد (رسائل ومخابرات) .

ثم ينتقل المؤلف الى الحديث عن النبى قاضيا والقيمة الفقهية الكبرى لا قضية رسول الله . ثم يستطرد الى القضاء فى عهد الراشدين واهم وثائقه ما سنه عمر دستورا للقضاء من خلال رسالة بعث بها الى القاضى ابى موسى الأشعرى . ولما لم تكن المذاهب الاربعة قد ظهرت فى عصر الأمويين ، اجتهد القضاة فيما لا نص فيه بعيدا عن التأثر بالسياسة . وكانت السياسة تطل برأسها فى قضاء العصر العباسى وضعف روح الاجتهاد عند القضاة وأصبحوا يحكمون وفقا لمذهب من المذاهب الأربعة . وهنا لأول مرة يظهر منصب قاضى القضاة ، وأما قاضى المظالم فكان يختص بما يختص به اليوم مجلس الدولة ومحكمة النقض .

واقتضت ضرورة التصرف السريع فى قضايا الحياة اليوميةظهور نظام الحسبه. واختصاصات والى الحسبة يقوم بها اليوم هيئات مثل النيابة الادارية – مصلحة التنظيم – مصلحة الدمغة – مراقبة الصيدليات بوزارة الصحة – مصلحة الطرق والكبارى – وزارة الأوقاف – ووزارة الاسكان .

ولقد توسل امام المسلمين الى حماية الأمن الداخلى بنظام الشرطة وأول من استنه عمر بن الخطاب . وسمى صاحب الشرطة عند الأمويين باسم صاحب الأحداث . وفى الأندلس قسمت الى شرطتين : كبرى تختص بجنايات أهل المراتب السلطانية وصغرى للعامة . ولابد لصاحب الشرطة من الاتصال بولى الأمر من المدن المختلفة وكان ذلك يتم بطريق البريد . **والعباسيون هم الذين استخدموا البريد لمثل ما تقوم به هيئة المخابرات اليوم** . وكان الحمام الزاجل يوفر لصاحب البريد عنصر السرعة وبلغ ثمن الطائر سبعمائة دينار . وهناك وسيلة أسرع من الحمام وهى بناء الأبراج على المرتفعات ونقل الاشارات الهامة عليها باشعال النار فيها على التوالى فكانت الرسالة تصل من الاسكندرية الى سبته فى ليلة واحدة . والرسائل الحربية اهم ما كانت تشغل رأس الدولة الاسلامية وهذا ينقلنا الى الحرب فى الاسلام . والمؤلف يقدم للموضوع بمقدمة فقهية طويلة عن مشروعية الحرب الدفاعية وموقف الاسلام ومعاملته لمخالفيه اذا صارعوه بالقوة ، وما ينبغى للقائد فى تسيير دفة الحرب البرية . اما الحرب البحرية فقد توجس منها عمر خيفة ، وتردد عثمان كثيرا فى اجابة معاوية لقتال الروم بحرا واخيرا هاجم الروم البرلس سنة ٥٣ هـ فاهتم أمراء مصر ببناء السفن وبدات الدولة الاسلامية تنمو كقوة بحرية ضاربة فى

البحر المتوسط تنتهى الى احتلال صقلية أيام الأغالبة . ويتصل الاهتمام بالأساطيل فى عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك .

ويختتم المؤلف الفصل الرابع بالحديث عن حكومة الاقاليم . ونرى أن النبى ولى عماله على الطائف والبحرين وحضرموت وصنعاء . وكلما اتسعت اقاليم الدولة الاسلامية كثر ولاتها الذين كانوا من العرب فى عهد الأمويين . وظل الحال كذلك حتى المعتصم فظهر الولاة الأتراك . والامارة ضربان : امارة استكفاء وامارة استيلاء . الأولى بالتفويض والثانية اشبه بانقلاب يرغم السلطة المركزية على الاعتراف بالأمر الواقع . واهم ولاة الاستكفاء عمرو بن العاص — الحجاج — خالد القسرى . واذا آنس الوالى المحلى من السلطة المركزية ضعفا استقل كالاغالبة فى افريقية وابن طاهر فى خراسان وابن طولون فى مصر .

فى الفصل الخامس يتحدث المؤلف عن نشأة العلوم الاسلامية فيفرد للحديث جانبا يحدد فيه منزلته من القرآن ومراحل العناية بالرواية وكيف قلت فى عهد الراشدين تحرزا من الكذب على رسول الله . ثم ظهرت فى افق الحياة الاسلامية فرق سياسية وفكرية تراشقت بالجدل وظهر الكذب فى الحديث . وهنا اجمع علماء الأمصار على تسويغ تدوين الحديث . وأول من امر بذلك عمر بن عبد العزيز مخافة الضياع ولموت الحفاظ وكثرة الابتداع .

واختلفت طرائق المحدثين فى التدوين فهناك من يجمعون احاديث كل باب على حدة وقام آخرون بتدوين احاديث الأحكام فقط . اما الطريقة الثالثة فتجمع الاحاديث التى يرويها كل صحابى على حدة باسم المسند مثل (مسند ابن حنبل) . والطريقة الرابعة هى جمع الصحيح من المرويات (صحيح البخارى وصحيح مسلم). ولما كان الحديث يبين ويفسر القرآن فلقد انفتح الباب لعرض موضوع التفسير . والتفسير اقسام ثلاثة ١ — بالمأثور — ٢ — بالرأى — ٣ — بالاشارة. والمأثور هو بيان المعنى بما جاء فى القرآن نفسه أو السنة أو كلام الصحابة . ثم تجىء طبقة التابعين وينقسمون بحكم المواطن وهم : (أ) المكيون (ب) المدنيون (جـ) العراقيون والطبقة الثالثة طبقة جمعت اقوال الصحابة والتابعين مثل سفيان بن عيينه . والطبقة الرابعة تتكون من مفسرين اعلام كالطبرى وابن ماجه وابن مردوية والطبقة الخامسة طبقة اختصرت الأسانيد منها الزجاج النحوى والطبقة السادسة هم البارعون فى علم من العلوم مثل الفخر الرازى (فلسفة) والقرطبى (فقه) .

هذا هو التفسير بالمأثور واعلامه .

اما اشهر المفسرين بالرأى فهم :

١ — الامامان الجلالان .

٢ — البيضاوى .

٣ — النسفى .

٤ — الألوسى .

اما رجال التفسير الاشارى فمنهم متصوفة كابن العربى والتسترى والالوسى والنيسابورى، ومنهم أهل الكلام من السنة والمعتزلة والباطنية والشيعة .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن **الفقه** : وله اربعة اطوار :

(أ) النشأة فى عهد النبى .

(ب) الشباب — وفيه ظهرت نزعتا أهل الحديث واهل الرأى .

(جـ) الكمال وهو عصر المذاهب الأربعة الكبرى وبجوارها تظهر الشيعة .

(د) الشيخوخة وهو طور التقليد الذى يتمرد عليه ابن تيمية وابن القيم .

اما **النحو** : فواضع أساسه الأول ابو الأسود الدؤلى وله اربعة اطوار :

١ — طور التكوين فى البصرة .

٢ — طور النمو على يد الخليل بن احمد ومدرسته .

٣ — طور الكمال على يد ابن السكيت وزملائه .

٤ — طور الترجيح وهو طور يشترك النحاة العراقيون مع المصريين والشاميين والأندلسيين

فى اثرائه . واكبر مدرستين عموما هما مدرسة البصرة (الخليل بن احمد – سيبوية – المبرد) ومدرسة الكوفة (الرؤاس – الكسائى – الفراء) .

اما الفصل السادس فيخصص لمظاهر العمران . ومن الواضح أن الحضارة الاسلامية ابدعت اطارا ماديا معماريا تدفقت فيه حياتها فظهرت مدن جديدة كالبصرة والكوفة والفسطاط وبغداد . وفى داخل كل مدينة ازدهرت طرز معمارية اسلامية . والقارىء سيجد فى هذا الموضوع نقصا فى المراجع والنتائج الفنية سببه عدم رجوع المؤلف الى اهم المراجع التى كتبها أساتذة هذا الفن مثل كريزويل وجاستون ڤيت و د. كمال سامح و د. جمال محرز وكثير من تلك المراجع لم تترجم للغة العربية .

والطرق التجارية خصص لها المؤلف صفحة واحدة ٢٥١ ونرجو من الكاتب فى الطبعة التالية أن يفيد من ابحاث اساتذة قسم الجغرافيا الاسلامية بمعهد الدراسات العليا الاسلامية فى القاهرة ليكتسب موضوعه عمقا . أما فنون الاسلام فى الشعر والخطابة والموسيقى والغناء والخط والزخرفة فقد خص كل موضوع بثلاث صفحات فأجهض المادة العلمية اجهاضا لا مزيد عليه لأنه انساق انسياقا وراء العموميات فى كتاب جامعى موجه لطلبة الدراسات التاريخية .

وفى الفصل السابع تحدث عن تكوين المجتمع العربى وانتقل الى الأسرة ومركز المرأة واحوال الرقيق الذين فتح أمامهم باب الحرية من ادنى سبيل . وعن اشتراكية الاسلام انتهى الى ان النظام الاشتراكى الديمقراطى التعاونى أمثل الأنظمة فى دولة اسلامية . ولقد اغفل المؤلف واحدا من اهم المراجع العلمية فى الموضوع كتبه د. عبد الله العربى عميد معهد الدراسات العليا الاسلامية بعنوان الملكية الاقتصادية فى الاسلام .

أما الفصل الثامن فخصصه للحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وميزانية بيت المال ايرادا ومنصرفا .

وفى الفصل التاسع ناقش الحركة الفكرية فتكلم عن الشيعة والخوارج وأهل السنة واكتفى فى ذلك بالتعريفات الموجزة واخذ يسرد تراجم مضغوطة لخمسة من فلاسفة الاسلام (الكندى – الفارابى – ابن سينا – الغزالى – ابن رشد) وبنفس الأسلوب الموجز جدا أشار الى أهم انجازات المسلمين فى العلوم الطبيعية والاجتماعية .

وختم المؤلف كتابه بفصل عاشر عن أثر الحضارة الاسلامية فى الحضارة الأوروبية فى سبع صفحات ملأها بالتعميمات والقضايا التى لا يمكن ان تتسع لها تلك الصفحات لتمحيصها وافادة القارىء بنتائج ذات بال لأنه (شأنه فى كثير من فصول الكتاب البعيدة عن مجال تخصصه فى تاريخ الفقه الاسلامى) يعالج موضوعاته بطريقة من كل بستان زهرة ومن كل بحر قطرة وهذه طريقة لا مجال لها اليوم فى كتاب موجه الى الدارسين فى الجامعة .

النقد

١ – ان احسن فصول الكتاب هو الفصل الخامس (نشأة العلوم الاسلامية) هناك يحس القارىء أنه يعاين سلاسل الذهب أما باقى الفصول فأنت بازاء معادن أخرى فيها النحاس والرصاص وحينما يتكلم عن نظرية الحضارة والموسيقى والغناء والطرق التجارية مثلا تجده يورد المعلومات على طريقة الجرائد اليومية القديمة : الايجاز المخل .

٢ – لم يواكب الكتاب أحدث ما نشر عن مباحثه . فالمراجع قاصرة على ما نشر باللغة العربية ومن يتصدى لاثارة قضايا خطيرة فى الحضارة الاسلامية لابد له من غوص فى الأبحاث الفرنسية والانجليزية على الأقل ليعرف آخر ما وصل اليه العلم لا ان ينتظر الترجمة العربية بعد سنين فتكون النتائج قد أصبحت قديمة وظهر ما هو احدث – فالكتاب بادى القصور فى الموضوعات التالية :

(أ) نظرية الحضارة الاسلامية وهل هى رد على تحدى الحضارتين الفارسية واليونانية حسب رأى توينبى ؟ أم هى خاصة للنظرية العضوية عند شبنجلر مثلا ؟ .

(ب) الموسيقى والغناء وكان هم المؤلف هو سرد بعض المعلومات العامة واغفل واحدا من اهم المراجع عن الموسيقى العربية كتبه فارمر .

(جـ) التصوف الاسلامى – لم يتعرض الكتاب المخصص للفكر الاسلامى لجانب خصب من جوانبه ولا يكفى ان يتكلم عن الغزالى الفيلسوف فى صفحتين . وليس من المعقول ان تظهر عشرات المراجع الهامة عن التصوف ثم تظهر فصول فى الكتاب عن الزخرفة والخط والغناء ولا شىء عن التصوف . ما قيمة النتائج التى وصل اليها فى الموضوع امثال ماسنيون ونيكلسون وجولدزيهر وأبو العلا عفيفى ومصطفى حلمى والغندى وبدوى ان لم يشر اليها كتاب يتحدث عن تاريخ الفكر الاسلامى .

(د) **التجارة** – أغفل الكتاب النتائج التى وصل اليها الدكتور سليمان حزين فى ابحاثه عن العلاقة التجارية بين العرب والشرق الأقصى . ووقع فى نفس الخطأ حين أهمل الرجوع الى دراسات د . حسين فوزى عن البصرة وسيراف وتحقيق معلومات التجارة البحرية عند المسلمين .

ان ضخامة الموضوع الذى عالجه الكتاب واتساعه الهائل يعجز المؤلف وتكون النتيجة ان يصبح الكتاب سردا لمعلومات عامة ولا جديد فيه يشد اهتمام الدارسين المعنيين بتاريخ الحضارة ومسائلها . لقد كان نصيب الحضارتين اليونانية والرومانية صفحة واحدة ٦٩ وكان اعتماد المؤلف على مثل جوستاف لوبون أشبه بمن يقف فى دراسة علم الأجناس عند فريزر والغصن الذهبى مغفلا ما بعد هؤلاء القدماء من دراسات حديثة استجدت فى الموضوع . وكل من قرأ كتب الدكتور حسن ابراهيم عن النظم الاسلامية وفى تاريخ الاسلام السياسى يكتشف ان المؤلف اعاد تلخيص مواضيعها الهامة فأين الابتكار والاضافة؟ هل سنعود لما كانت عليه كتب الأزهر فى العصر العثمانى يؤلف أحدهم المتن ويجىء آخر بشرح المتن ثم ثالث بحاشية ورابع بتلخيص ؟ **يجب أن يكون الهدف من التاليف اضافة جديدة للمعرفة .**

وهكذا يستحيل الكتاب الى مرجع فى التاريخ الاسلامى للطالب الثانوى . لقد ختم المؤلف كتابه بفصل عن علاقة أوربا بحضارة الاسلام فى سبع صفحات وسرد ما وصل اليه المستشرقون من نصف قرن فى هذا الموضوع . اين النتائج التى وصل اليها العقاد وعنان وآسين بالاسيوس ومحمود قاسم وارنولد توينبى حديثا ، وهكذا قصر الكتاب عن ان يطلعنا على وجهة نظر شخصية مبتكرة فى الموضوع .

اما اهم المراجع التى ارتكز عليها المؤلف فالنقد الذى يوجه اليها لكى يقيمها فهو قصورها الواضح فى باب المراجع الانجليزية والفرنسية . ولكان المؤلف ينتظر تلك المراجع الأجنبية حتى تترجم الى العربية فيستفيد منها وبهذه الطريقة فاته الكثير جدا من المراجع الأجنبية التى لم تترجم الى العربية بعد ، والتى ناقشت كثيرا من قضايا ومشاكل الحضارة الاسلامية . لكن الجدير بالثناء هو استيعابه لأمهات المراجع العربية التى مكنته من ان يكتب الفصل الخاص بالعلوم الاسلامية كتابة دقيقة محكمة (الفصل الخامس) .

ونحن ننتظر الطبعة التالية منقحة ومزيدة وجديرة بما لموضوع الحضارة الاسلامية فى قلوبنا من اعزاز .

محمد الشرقاوى



الأغانى والموسيقى الشرقية

بين القديم والجديد

تأليف : أحمد ابو الخضر منسى

الناشر : دار العرب للبستانى

٢٥٨ صفحة ١٤×٢٠ سم - الثمن ٢٤ قرشا

اقدم لك هذا الكتاب رغم اختلافى الشديد مع مؤلفه الاستاذ احمد ابو الخضر منسى .. ولكن لماذا اقدمه اذا كنت اختلف مع مؤلفه اختلافا يكاد يشمل كل آرائه !؟

الواقع أن المؤلف ـ أولا ـ مخلص فى التعبير عن وجهات نظره .

وهو ـ ثانيا ـ أستاذ دارس لمادته .. فهو قد تعلم عزف العود من أحد العازفين المشهورين، ودرس بعض اصول الموسيقى فى احد المعاهد .. الخ .. واقل ما يقال فيه أنه ـ كما وصف نفسه ـ ليس من الأدعياء او الفضوليين الدخلاء ، او الجاهلين ..

وهو فوق هذا كله ارهق نفسه فى تقصى المعلومات التى احتشد بها كتابه ، سواء فيما يتعلق بتراثنا أو فنانينا .

اذن لماذا اخالفه ؟!

لانه وهو يدافع عما سماه « بالموسيقى الشرقية » بانها موسيقى قابلة للتطور ، لم يذكر

لنا لماذا لم تتطور الى المستويات العالمية ، وايضا لم يذكر وسائل وامكانيات تطويرها ، بل بالعكس يكاد يكون قد حبذ تخلفها لمجرد تفضيلها على الموسيقى التي سماها « بالموسيقى الغربية » ، ولمجرد تفضيل الحاننا القديمة على الحاننا الحديثة .

ان المؤلف بذلك وضعنا امام مشكلات كثيرة تبعدنا عن بحث المشكلات الحقيقية لموسيقانا .

فهو يعارض خلط الموسيقى الشرقية بالموسيقى الغربية ، وهذه معارضة أؤيده فيها ، ولكنه يتجاهل أسباب هذا الخلط .. ان الذين حاولوا ذلك قصدوا الى تجديد الحاننا لولا انهم اخطئوا الوسيلة .. **واذن فالخلط هو الخطا ، بينما التجديد ضرورة** ، ولكن المؤلف الذى أصاب **فى معارضة الخطأ أخطأ فى معارضة التجديد .**

انه يصف الألحان الحديثة وملحنيها بانهم (ان اسمعوك غناء شرقيا وموسيقى عربية مطهرة من الخلط الذميم لم تجد لها طعما ولا طربا مما اتسم به القديم بسحره وجلاله واحكامه ، وانما هو — الا ما ندر منه — تلحين غث هزيل) .

هذه أحكام عامة وليس فيها تخصيص ولا تعليل .

ومع ذلك فانني افضل ان نتصفح الكتاب معا ونناقش مؤلفه فى بعض قضاياه معا .

الكتاب مكون من ثلاثة أبواب ، وفى كل باب عدة فصول بعضها قصير جدا ، وكانه كلمات فقط .. ومع ذلك فالمؤلف يبدو متحمسا لرايه فى كل سطر ، وهذا التحمس يشدك اليه لولا التعبيرات (الفصحى جدا) التى يعبر بها عن آرائه ، وهذه الفصاحة — بهذا الاغراق — تستوقفك احيانا عند الالفاظ فلا تتجاوزها الى معانيها .

انه — مثلا — فى أول جملة فى الكتاب يصف الموسيقى بأنها (حورية من عليين هبطت على ارض الاناسى) .. وهو فى نفس الجملة يتحفك بالسجع ، من نحو (تهتز من طرب — وتترنح من رحيق بنت العنب — له بين الأبدان دبيب عجب) .. وهو فى آخر جملة فى الكتاب يصف أحد الموسيقيين — وكان قد ادمن شرب الخمر — بانه (يغادى الصهباء ويراوحها صبوحا وغبوقا)!! وهكذا .

اى انه من اول الكتاب الى آخره يتحدث بهذا الاسلوب .. **وانا لا اكره قراءة كتاب — اى كتاب — يعبر مؤلفه عن آرائه باللغة الفصحى ، وانما اكره افتعال الفصاحة ، وخاصة فى كتب الموسيقى وما اليها من فنون نحن فى حاجة الى تعريف الناس بها وتقريبها اليهم بلغة ميسورة الفهم دون الحاجة الى الرجوع الى القواميس ، او دون التوقف عند غرابة الالفاظ او التراكيب.**

والحقيقة انى توقفت كثيرا عندما قرات — مثلا — (فاذا هم بنا يستسخرون) ص ١٠١ — او (ارعووا يا هؤلاء) — او (الناس شهاوى الى سماعه) .. الخ .. الفاظ وتراكيب كثيرة كان يمكن ان تستبدل بها الفاظ وتراكيب أسهل واقرب الى اللغة المألوفة ، واقصد الفصحى المألوفة .

ننتقل بعد ذلك الى احكامه الفنية :

نترك الأوصاف اللفظية ، مثل وصفه للموسيقى بانها (نعم الآسى والطبيب النطاسى .. الخ) ، ونتناول آراءه فى الموسيقى نفسها .

وقبل كل شىء الاحظ اضطراب السياق بالنسبة للموضوعات الرئيسية .. فهو مثلا فى الباب الأول يتحدث عن القديم فى موسيقانا واغانينا ، وهو موضوع واضح الحدود ، ولكنه احيانا يتجاوز هذه الحدود ويخرج عن الموضوع ليتحدث عن علاقة الفنان بالمال مثلا .. وهو احيانا يتذكر موضوعه فيعود اليه كما حدث فى الفصل السابع الذى سماه (عودة الى القديم) .

وهو — مثلا — فى حديثه عن الشخصيات الفنية فى الباب الثالث يذكر بين المغنين القدامى مغنين من المعاصرين ، وبعضهم لا يزالون أحياء .. فهو لا يضع حدا فاصلا يفرق فيه بين القديم والجديد ، وهو لا يلتزم حتى بالترتيب التاريخى .. الخ .

احب أن أتجاوز عن ذلك كله ، واتابع آراءه واحكامه فقط .

ان ابرز آرائه ، او رايه الرئيسى ، هو ان موسيقانا « القديمة » تراث عزيز وثروة زاخرة ..

الخ .. وهو لذلك يعتب على الاذاعة لانها لا تكاد تقدم للمستمعين غير الأغاني التى « نعتـوها بالجديد » .. وهو يضرب لذلك أمثلة عملية ، فيتساءل : اين صالح عبد الحى ؟ وأين ابراهيم عثمان ؟! وهو لا يصف هذين المطربين او غيرهما بأوصاف فنية تعطى فكرة عن المواهب الفنيـة او الامكانيات او نواحى القدرة ، وانمـا يطلق أوصافا لفظية متضخمة ، مثل قوله عن صالح عبد الحى (انه صداح بالطرب البالغ ، وفارس من صناديد فرسانه ، يحال بينه وبين أن يصول ويجول) .. أظن ان مثل هذه الأوصاف لا يمكن ان يوصف بها مطرب ، الا اذا كنا لا نزال نتصور ان للموسيقى مكانا فى ساحات الوغى !!

وكذلك حينما يتحدث عن المطرب ابراهيم عثمان ، يقول عنه فى نشأة الاذاعة غنى الدور الجركا (تيهك على اليوم) .. ولا أدرى مـاذا يمكن ان يفهمه القارىء العادى من « الجركا » !!. ان المؤلف بذلك يريد ان يقول للقارىء انه يعرف أسماء مقامات الموسيقى وأنغامها !! فمن البديهى انه لا يشترط ان يغنى المطرب « جركا » لكى يجيد ، فان الاجادة شىء ، وأسماء المقامات شىء آخر ، والمجيد يجيد فى أى مقام موسيقى .

ما علينا .. نستطرد مع المؤلف لنرى ماذا يريد ان يقوله فى تفضيل القديم على الجديد ، فاذا بنا نسمعه يقول (من لا قديم له فما له من جديد) ؟! فعلا ، ولكن كيف نستفيد بالقديم لنخلق الفن الجديد ؟! هذه هى المشكلة ، وكنت انتظر أن يتعرض لها المؤلف ، ولكنه انهال على الجـديد بالشتائم ، وأيد القـديم بأبيات من الشعر !! ثم خيل اليه انه ــ بذلك ــ اسـتوفى البراهين المقنعة ، فقال : (أجل !! ان السبق للقدماء الى كل احسان ، والفضل كل الفضل لمن تقدمونا !!) .

الحقيقة انه خـلال ذلك كله ينساق الى مشكلات فنية مهمة ، ثم يتركها بدون تنـاول لها .. فهو مثلا فى الحديث عن افضلية القديم على الجديد يذكر الموشحات ، وكيف تعرضت للضياع لاننـا لم نسجلها ممن يحفظونهـا : ويستشهد بأحد أعلام حفظ الموشحات ورواتها وهو الشيخ درويش الحريرى ، ثم بعد ذلك يعود مرة أخرى الى مهاجمة الجديد وتأييـد القديم دون ان يذكر أى حجة جديدة ، ودون ان يستوفى هذه النقطة الهامة ، وهى كيفية حفظ الموشحات من الضيـاع عن طريق تسجيلها ، وكيفية تسجيلها ، وما هى الأسس الفنية المثلى التى يتحقق بها ذلك دون تحريف لهذا النوع العريق من تراثنا الموسيقى .

والغريب بعد ذلك انه يستشهد بآراء غيره لتأييد آرائه رغم الاختلاف الجوهرى بينهما .

فهو يستشهد مثلا برأى الدكتورة سـمحة الخولى ، فينقل عنها كلاما كتبته عن زكريا احمد عقب وفاته ، وقالت فيه ان موسيقانا العربية فن له قيمته ومقاييسه الجمالية الخاصة ، واذا لم يكن هذا الفن قادرا بصورته الراهنـة على ارضاء كل احتياجات الجيل العربى الجديد ، فليس ذلك عن ضعف فى جوهره ، ولكن لاننا تركناه نهبا لعوامل الركود والتجمـد على مر السنين ، فحجبت جوهره النقى ، وخلفت منه صورة باهتة ..

ان المؤلف ينقل رأيها هذا او كلامها هـذا ويوهم نفسه بأنها أصبحت من رأيه فى الدفاع عن الموسيقى القديمة ، بينما من الواضح أن هناك فرقا كبيرا جدا بين من يدافع عن موسـيقانا القديمة كتراث فنى ، وبين من يدعو الى التوقف عند تلك الموسيقى بدون تطوير .

ان المؤلف يتوهم انها من أنصار القـديم ، ولهذا يقول عن كلامها انه (اعتراف صريح كريم من راجع تائب أبصر فتبصر ، نزع الى الجـديد الهزيل واستهوته الموسيقى الفرنجية فنزع عن ذلك عـادلا الى عشق القـديم غنـائه وموسيقاه ..) .. انه يتوهـم أن الدكتورة بعد أن سافرت الى الخارج ودرست الموسيقى العالمية وعـادت الى بلادها تعلن أن الموسيقى العالمية ارفع مستوى من موسيقانا ... بعد ان فعلت ذلك رجعت فى كلامها !!

(والحقيقة الواضحة جدا انها ذكـرت أن موسيقانا فن له قيمته ، ولكننا نحن المسئولون عن عدم تطويره ووضعه فى القـوالب الفنيـة

القائمة على أسس علمية .. وطبعا هذا صحيح، ولا احد يجادل اطلاقا فى قيمة موسيقانا ، وانما نحن نختلف مع الذين يقولون بأنها ليست فى حاجة الى تطوير ... فانها فى حاجة الى دراسات عميقة لنعرف كيف يمكن تطويرها مع الاحتفاظ بجوهرها وخصائصها وطابعها وشخصيتها بصفة عامة .

(والمؤلف يتحدث بعد ذلك عن مؤتمر الموسيقى الشرقية الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٣٢ ..) ان هذا المؤتمر هام جدا ، ولكن المؤلف نظر اليه كفرصة لترديد الآراء التى مجدت الموسيقى الشرقية .. ومن حقنا ان نمجد موسيقانا ، بشرط ان ننظر أيضا الى نقائصها وعوامل الضعف فيها واسباب تخلفها عن الموسيقى العالمية وكيفية معالجة ذلك كله .



فالمؤلف بعد أن يذكر بل قبل أن يذكر آراء الموسيقيين الأجانب الذين حضروا هذا المؤتمر ، يقول أجمعوا على أن الموسيقى الشرقية لها طابعها الخاص وجوهرها الممتاز وآلاتها ، وليس من الخير ادماجها فى الموسيقى الغربية .

هذه بديهية ، ولكنه يذكرها كبرهان على ضرورة بقاء موسيقانا كما هى !! ومن قال ان الطريق الى تطوير موسيقانا هو « ادماجها » فى غيرها ؟! لا يقول بهذا غير انصاف المثقفين والأدعياء ... لاننا **اذا كنا نعتبر ان الفنون لها شخصيتها الخاصة بها ، فمن المستحيل عقلا مزج شخصية باخرى ، أو ادماج شخصية فى اخرى .**

وصحيح أن مزج أو ادماج موسيقانا فى الموسيقى الغربية كان فى وقت من الأوقات بدعة منتشرة ، الا انه كان من اللازم أن يهاجم المؤلف هذه البدعة ومبتدعيها دون أن ينساق الى مهاجمة الموسيقى العالمية أو الى الدفاع عن تجمد موسيقانا دون محاولة انهاضها أو تطويرها أو افادتها بوسائل تطوير الموسيقى العالمية .

ان المؤلف يستشهد برأى المستشرق البارون كارادى عضو المؤتمر الذى يقول ان الموسيقى الشرقية علم عظيم ... وان الموسيقى الشرقية اثرت فى الموسيقى الغربية خلال القرون الوسطى .

ويستشهد برأى الدكتور هنرى فارمر الذى يقول فيه بضرورة الحرص على ان نسلك طريقا يحفظ للموسيقى العربية روحها الوطنية وطابعها.

وواضح أن هذه الآراء وما اليها لا يمكن ان تعنى تجميد الموسيقى الشرقية ، بل بالعكس انها دعوة الى تجديدها ، بشرط المحافظة على طابعها وشخصيتها .

ولكن مؤلفنا يختتم هذه الآراء بقوله (فماذا ياقوم بعد هذا ؟) .. ويقصد بذلك ماذا يريده دعاة التجديد ؟!

فى الفصل الخامس نصل مع المؤلف الى المشكلة الحاسمة .. انه — كما يفهم من آرائه — يتصور ان الموسيقى « طرب » ، ولذلك نجده يمتدح الطرب القديم ، وكيف كان يملأ الأفراح والسوامر والسرادقات ، والحانات والملاهى ، كما نجده يهتم بوصف الليالى التى كان يشدو فيها المطربون والمنشدون .. ثم نجده يتحدث عن بعض مآثر فرسان الطرب ، فيقول — مثلا — ان داود حسنى عبقرى ، لانه صنع صوتا من نغمة العجم ، مع ان اسباب عبقرية داود حسنى انه حاول تلحين الأوبرا ولحن فعلا أوبريتات كثيرة .. أى ان عبقريته فى الأعمال المتطورة ، وليست فى الأغانى الفردية .

وكذلك يصف عبقرية محمد عثمان بأنه (كان يأخذ بالنواصى ويطرب فيسحر) ... ويصف ادواره القديمة بأنه كان يكسوها من بديع الصنعة وعجيب الدملجة (!!) وجمال الطرب .. ثم يقول بالحرف الواحد (وكل القديم ذلك الشأن وعلى هذا المنوال) .

بل انه يتحدث عن أم كلثوم فى هذا المجال فلا يجد ما يستشهد به من اغانيها غير قصيدة (وحقك أنت المنى والطلب) .

ثم انه يقحم المقاييس غير الفنية فى الفن .

فهو يفرد فصلا كاملا للحكم على الفنانين بمقياس عجيب خلاصته ان الفنان الحقيقى يعمل لفنه لا للمال ، وان الفنان العبقرى الملهم أن أنقره الفن علقة ، وان أشقاه لهج به ، وان ابتلاه صابره ولزمه ... الخ ... هل هذه مقاييس فنية ؟ !

وهو أيضا يتجه الى قياس الفن بمقاييس اسطورية ، فيروى أن عبده الحمولي كان ذات ليلة يغنى ، وفجأة جاء عندليب جميل فوق التخت !!

انه بذلك يتصور ان العندليب أيضا يحب موسيقانا الشرقية !!

ندخل بعد ذلك مع المؤلف فى فنون الغناء القديم ... انه يخصص فصلا كاملا يتحدث فيه عن الموشحات والأدوار والطقاطيق ... الخ .. فماذا يقول !!

انه يصفها ايضا بأوصاف لفظية ، كأن يقول مثلا ان البشرف تسميته تركية (بشرو) ... ولكنه حين يريد التحديد العلمي يقول ان البشرف قطعة موسيقية بارعة السبك والحبك ، وتتألف من اربعة اجزاء يسمى كل جزء منها خانة او بدنية ... ثم بعد ذلك الكلام غير المحدد فنيا ، يقول (فأين ذهب هذا الفن البديع) ؟!

ايضا يتحدث عن الموشحات بنفس الاسلوب فيقول ان لها مع التطريب العجيب عمل التحضير ، أى تهيئة النغمة التى سيغنى منها المغنى !! وهكذا .

وحينما يتحدث عن الأدوار يقول ان الدور هو قطب الليلة الساهرة وعمدة الغناء والطرب .. والدور فن رصين وصنعة عجيبة وطرب حاشد متين .

وحينما يتحدث عن المواويل يقول ان الموال هو ما يوطىء به المغنى للدور ، وفيه يصول ويجول .. الخ .

واما الطقاطيق فيصفها بانها اسم على مسمى .. فهى قطع لطيفة رشيقة منظومة .

وهكذا نجد انه يتحدث عن قوالب فنية متعددة دون اعطاء المميزات الحقيقية لكل منها.

وصحيح أن القدامى لم يجددوا هذه المميزات ، ولكن الواجب على من يريد دراستها فى العصر الحديث ان يصل ــ بالاستقراء العلمى ــ الى هذا التحديد .

نترك هذا كله ، وندخل مجالا آخر .. ان المؤلف انتقل بعد ذلك الى الحديث عن الجديد فى موسيقانا واغانينا .. فماذا قال ؟



كما أنه تحمس فى امتداح القديم ، كذلك تحمس فى مهاجمة الجديد .. وهو حر فى تحمسه ، ولكن الشيء الذى اعارضه فيه أنه لم يحاول استخدام المنهج العلمى ... فهو مثلا يقول أن الجديد جلجلة وطنين !! ويقول أن المجددين عاثوا فى الموسيقى الشرقية فسادا بهذا الذى اشاعوه فى المذياع من اغان والحان ما أنزل الله بها من سلطان !!

وكذلك يقول : الجديد جنون وخبال وعجز وصغار وشر مستطير !!

ومن طرائف المؤلف انه يعيب على الموسيقيين انهم يخلطون الموسيقى الشرقية بموسيقى غربية ، فاذا به هو حينما يستشهد على خطأ ذلك ، يحاول أن يقنعنا بحجة عجيبة ، وهو أنه يقتبس كلاما قالته (مدام دوستال) وجاء فى كلامها (القوة الحقيقية لشعب ما ، كامنة فى فطرته) .. وهذا صحيح ، ولكن الطريف هو استشهاد المؤلف بكاتبة اجنبية !!

والحق اننا مع المؤلف فى مهاجمته للخلط الموسيقى ، ولكن هناك فرق بين تجديد الموسيقى الشرقية بخلطها بالموسيقى الغربية ، وبين تجديدها عن طريق الاستفادة بتجارب الموسيقيين العالميين وفهم أسرار تأليفهم .

وكنت أريد للمؤلف الفاضل ان يدعو الى التجديد الحقيقى ، وذلك بفهم المراحل التى تتطور فيها الموسيقى ــ شرقية او غربية ــ ومحاولة سلوك هذه المراحل بالعلم والوعى والفهم ... وهذا التجديد طبعا لا يعنى الغاء طابع موسيقانا .

ثم انه بعــــد ذلك يحاول تطبيق آرائه على الأشخاص فيتناول محمد عبد الوهاب ، ويهاجمه لأنه يخلط موسيقاه بالموســيقى الغــربية .. وبديهى أن هذا ليس هو الطريق نحو التجديد .

ولكن المــؤلف نسى أو تناسى الخطــوات الحقيقية التى مرت بها موسيقانا نحو التجديد .

فأولا ظهرت محاولات لتجديد موسيقانا عن طريق كتابتها بالأساوب السيمفونى وعن طـريق تأليف مؤلفات سيمفونية .

وثانيا ظهرت محاولات لتجديد الحان قديمة باعادة صياغتها صياغة علمية ، على نحو مافعل المرحوم أبو بكر خيرت .

وثالثا ظهرت منذ ٤٥ سنة محاولات للأتجاه بالالحان نحو المسرح ، وهذا هو من اهم مجالات تجديد الموسيقى .

ورابعا ظهرت فى الأغانى نفسها محــاولات للتجديد على نحو ما فعله سيد درويش عندما اتجه من التطريب الى التعبير ، وعندما حاول أن يغنى للناس ولمختلف طوائفهم ، وعندما حاول أن يغنى أغانى جماعية ، وعندما حاول أن يربط بين الأغانى والحياة .. ثم فى التكنيك الفنى حاول أن يستخدم الأنغام بأسلوب حيوى بدلا من استخدام الأنغام المتجاورة .

وبالنسبة الى محمد عبد الوهاب أيضا نجد انه فى بعض الأحيان حاول أن يستخدم الموسيقى مع الغناء استخداما رئيسيا ، وحاول احيـانا متابعة تجديدات سيد درويش .. الخ .. ثم ان فى اغانيه الأخيرة حاول أن يظهر الأغانى من الأنغام والجمل الغربية . واســتخدم ايقاعات وانغاما شرقية بحتة .

كل هذه تجديدات حقيقية ولا ينقصها غير استكمالها بالمنهج العلمى .

وعلى العموم فان محاولة ارشاد المجــددين الى الحقائق الجوهرية افضل من مهاجمتهـــم بلا اسانيد علمية .

والعجيب جدا أن المؤلف يعقــد فصــــلا للموسيقى الغربية ، ثم يقول فيه ان موسيقانا ارحب مجالا !! من اين جاءتها هذه الرحابة ؟! لا دليل .

بل أكثر من هذا أنه يعارض تدريس النوتة الموسيقية .. بل انه يقول بالحرف الواحد ان تعليم العزف بالنوتة ليس بالرأى الصواب ولا هو بالطريقة المثلى ، وانما العــزف ــ فى رأيه ــ يستقيم ويحلو بالسماع لا بواسطة الرموز .

واظن انه لا داعى للتحدث عن اهمية النوتة الموسيقية . فان الموسيقى لم تدخل المرحـــلة العلمية فى العالم كله الا بسبب النوتة الموسيقية ، وكانت قبل ذلك فى مرحلة الارتجال .. فهل يريد المؤلف الفاضل أن يعود بنا الى مرحلة الارتجال ؟! وهل هذا هو طريقه الأفضل نحو التجديد كما يفهمه .

ننتقل مع المؤلف بعد ذلك الى باب جـديد يتحدث فيــه عن فنانين من القــدامى .. وكان المتوقع انه يذكر تاريخهم وأحداثهم بما يغــرى بالاهتمام بهم ، ولكنه يعود الى اوصافه اللفظية ، أو اوصافه العابرة فتقل الافادة .. انه ــ مثلا ــ يتحدث عن عبده الحمولى حديثـــا من النوع « العمومى » الذى لا يبرز أسباب عظمته كفنان بل انه يتحدث عن النوادر التى حدثت له اكثر مما يتحدث عن الحانه واسلوبه الفنى .. وحينما يتحدث عن فنه يتحول كلامه الى (موضــــوع انشاء) .. فمثلا يقول : (وعبده هو الذى أبدع الغناء الشرقى الصميم ، وجعل له ملاكا وقواما رصينا) !!

كذلك يتحدث عن المظ وساكنه .

وعندما يتحدث عن يوسف المنيلاوى يقول (هذا واحد دهره فى أرباب الغناء) !!

وهكذا فى كل أحاديثه عن الفنانين . احاديث متشابهة فيما عدا الطول والقصر بحيث لو وضعت وصفه لأحد الفنانين تحت عنوان فنان آخر لما اختلف الأمر كثيرا .

وهو فى منهج أحاديثه لا يتناول الفنـــانين تناولا علميا ، لأنه ينظر اليهم من زاوية «الطرب» فقط .

ومع ذلك ، ومع اختلافى الشديد مع المؤلف فان قراءة كتابه ضرورة ومتعة .. اقراه واختلف معه فستجد متعة فى الاختلاف معه . لأنه مخلص لآرائه ولو انه لم يشبعها اشباعا علميا .

عبد الفتاح البارودى

مذاهب النقد ونظرياته فى انجلترا قديمًا وحديثًا

لا يخفى علينا ما للنقد والناقد من رسالة اساسية فى المجتمعات المتحضرة ، والنقد النزيه يهيىء التربة الصالحة لبذر أجل الافكار ونشرها ، وخلق اتجاه عقلى تستطيع القوى الفنية الخلاقة أن تستفيد منه فائدة كبرى ، واعداد جو اجتماعى صالح يستحث طاقات الفنان وينتشر فى ارجائه خير ما أنتجه العقل الانسانى . والناقد الحقيقى الذى ننشده هو الذى يسعى لخلق قيم حقيقية نافعة تسود المجتمع البشرى وتطرد القيم الزائفة المضللة التى تعتمد على الأهــواء الشخصية والعصبيات المقيتة والتحزب من أى نوع كان ، فتمهد لخلق مجتمع أفضل عن طريق خلق فن أصيل . وسبيل الناقد الى ذلك الجهد الدائب المنزه عن الغرض ، والنظرة الموضوعية النابعة من ضمير النــاقد ومن وحى تلك القيم الرفيعة .

ونحن على أبواب نهضتنا الأدبية ، ووسط ذلك الخضم من التجارب الفنية الضخمة التى تزخر بها مصر الثورة لفى أمس الحاجة الى هذا الجو الذى يهيئه النقد حتى نمكن كل فن أصيل من الرسوخ والوقوف على قدميه ونطرد كل فن زائف مضلل فتتطاير كل فقاعات لا تستند على أساس متين من الموهبة والجدارة ، وبذا نساعد على تثبيت قيم حقيقية توجه الأدب والفن فى مراحلهما المقبلة وطريقهما الطويل الذى ينتظرهما ، ونعين على خلق وعى فنى متكامل لدى الجماهير حتى تســتطيع التمييــز بين الغث والثمين

تأليف
الدكتور فائق متى

الناشر
مكتبة الانجلو المصرية
٢٨٩ ص ١٤×٢٠سم جزءان

وتتذوق الأعمال الفنية وتنفعل بها فتعود عليها بالفائدة المرجوة منها .

ولعل هذا الغرض هو الذى اقتضى اصدار مكتبة النقد الادبى الذى يشرف عليها الاستاذ الدكتور رشاد رشدى الذى يقول فى تصديره لهذه السلسلة : « وفى هذه المرحلة الهامة من حياتنا التى نجتازها اليوم نحن فى أشد الحاجة الى تبنى النظرة الموضوعية لا فى الفنون والآداب فحسب بل فى جميع أوجه النشاط الأخرى . ولذلك فنحن نعتبر هذه المساهمة المتواضعة من جانبنا فى خلق وعى موضوعى فى الفن والنقد واجبا يحتمه علينا اعتبار خاص وهو اننا ننتمى الى الجامعة ونقوم بالتدريس فيها .. » .

وفى هذا الكتاب الذى نحن بصدده ـ وهو احدث ما صدر فى هذه السلسلة ـ يعطينا المؤلف من خلال دراسة الاتجاهات النقدية التى سادت انجلترا على مدى تاريخها ، فكرة واضحة عن الاتجاهات الأدبية فى الشعر والنثر والمسرحية ، ودور النقد فى خلق الاتجاهات . وهو يتعرض فى الفصول الثلاثة الأولى من الجزء الأول لنظريات النقد عند الاغريق ، ثم نظريات النقد واتجاهاته ومميزات الأدب عامة فى العصر السكسونى والدنماركى وابان الغزو النورماندى، وارتباط الثقافة الانجليزية حينذاك بالتيارات الفكرية فى أوروبا ، ثم يتناول تيارات الأدب والنقد فى الفترة ما بين القرون الأولى الى نهاية العصور الوسطى ، وفى هذه الفترة يظهر تشوسر ابو الشعراء الانجليز فيطلعنا المؤلف على ما أسهم به تشوسر فى مجال التعبير اللغوى والفن القصصى فى (حكايات كنتربرى) وما حفلت به هذه القصص من البراعة فى تصوير الشخوص والمواقف الهزلية فى أسلوب يتميز بالتنوع والسلاسة .

ولعل اهم ما يستوقفنا فى الفصل الرابع هو ابراز الأثر الذى تركته الثقافة العربية وجهود العلماء والادباء العرب فى الفكر الأوروبى بفضل حركة الترجمة التى كرس لها العرب جهودهم فنقلوا فلسفة الاغريق وآدابهم مثل (جمهورية افلاطون وفلسفة أرسطو والعلوم الطبيعية بشتى فروعها والوانها) والطب والجغرافيا والرياضة وغيرها . زد على ذلك تلك الاضافات التى أسهم بها الفارهون من علماء العرب وفلاسفتهم أمثال الفارابى والغزالى وابن سينا وابن رشد فى توجيه الفكر الأوروبى . وفى هذا يقول المؤلف :

« يرجع الفضل للعرب فى هذا المضمار فى القيام بحركة شاملة نحو تنسيق الاتجاهات الفكرية السائدة حينذاك فاصبح للمعرفة بشتى نواحيها هدف معين وأطار محكم الأوصال ومنهاج قويم نسج على منواله علماء الغرب وفلاسفتهم حينما انتقل الفكر العربى الى اوروبا بعد فتح العرب للأندلس سنة ٧١٠ ميلادية » . (ص ٨٢ ج ١) .

ونرى فى فصل (النقد فى عصر الملكة اليزابيث) كيف يقوم النقد بدوره البناء فى توجيه الحياة الأدبية ، وهو فى الواقع ما نحتاج اليه حاليا فى نهضتنا الأدبية ، ذلك أن النقاد أمثال سير فيليب سدنى وتوماس ناش وهارنجتون وبن چونسون اتخذوا موقفا ايجابيا ازاء دراسة فنون الشعر والنثر فبدأ الاهتمام مثلا بقيمة الشعر فى الحياة الاجتماعية والفكرية ، فأصدر فيليب سدنى عام ١٥٨٠ بحثه المعروف بعنوان (دفاع عن الشعر Apologie for Poetrie) فيصنفه بأنه المحاكاة المثالية للطبيعة وأنه أسمى ضروب الأدب عامة اذ يلقن الناس أهم الحقائق وأصدقها فى الحياة من خلال الانفعالات السارة التى هى غاية كل فن ، ثم يعيب على شعراء عصره ويتهمهم بالوهن والذوق السقيم والأسلوب الفث ويلفت نظرهم الى نظم فحول الشعراء أمثال تشوسر وساكفيل وسبنسر وما يضمه شعرهم من خصائص فنية أصيلة ، وكذلك كان لآراء سدنى فى المسرح اثرها الفعال فى توجيه المسرح فى العصر الاليزابيثى ، فلم يتقيد بناقد واحد أو فيلسوف واحد بل أخذ يبين ما فى نظريات أرسطو وسنيكا من محاسن ومثالب من حيث الهدف من الفن الدرامى وبخاصة المأساة والقوانين التى تتحكم فيها ، ويبدى رأيه فى عدم تناول المواد الهزلية بين ثنايا المآسى . ويمكن القول ان مثل هذه الاتجاهات النقدية والفورات الفكرية هى التى توجه الادب وتأخذ بيده الى مدارج الرقى وتمهد بالتالى لعصور النهضة الأدبية كما رأينا

في هذا العصر الاليزابيثي الذي أنتج شوامخ الأدب الانجليزي .

وفي اعتقادي أن العصور السابقة للنهضات الأدبية تتميز بوجود تيارات نقدية قوية تمهد التربة الصالحة لنمو أدب قوي سرعان ما ينمو ويترعرع . ولكن النقد ينبغي ألا يخفت صوته حين تينع الثمار التي اشتهاها بل ينبغي أن يظل يرعاها دائبا على أداء رسالته حتى لا تنتكس الثورة التي صنعتها يداه .

وتشعب النقد بعد ذلك وتفرقت به السبل في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فتمايزت مدرستان للنقد كل مدرسة لها خصائصها ومقوماتها وهما المدرسة التأثيرية أو الرومانسية والمدرسة الكلاسيكية . والمدرسة الأولى تعتمد في احكامها النقدية على تلك الانطباعات الشخصية التي يتلقاها الناقد نتيجة لانفعاله بالعمل الأدبي، أو بتعبير آخر تتناول العمل الفني بطريقة شخصية بحتة ، على حين تتميز المدرسة الثانية بتطبيق قواعد معينة — وبخاصة في الشكل والاطار العام — في حكمها على العمل الفني سواء أكان قصة أو مسرحية أو قصيدة شعرية ، فعند تناول قصيدة معينة مثلا يصدر الناقد الكلاسيكي حكمه في ضوء أسلوب القصيدة وما فيها من محسنات بديعية وتناسب شكلها مع الأمثلة والنماذج المعروفة لفحول الشعراء الكلاسيكيين، كما يطالب العمل الفني بمستويات معينة من التصور والعاطفة والذوق والأسلوب الرفيع .. الخ .

والواقع أن كلا من المدرستين تبعدنا عن العمل الفني الأصلي وعن قواعده التي تنبع من داخله ، اذ أن كل عمل فني يحمل بين ثناياه قواعده الخاصة به ، وكل قاعدة تفرض عليه من الخارج هي تعسف مجحف بالأدب والنقد على السواء .

فالمهمة الأساسية للناقد — شأن الفنان تماما — هي ان يتمثل الخبرة الفنية التي امامه في صدق واخلاص دون الالتزام بأي هدف خارج عن نطاق هذه الخبرة ، ومن ثم يحاول أن يضع نفسه مكان الفنان ويتقمص وجهة نظره ، ويرى العمل الفني من الداخل والخارج مثلما تراءى للفنان أو أقرب ما يكون لرؤيته له ، ومن ثم يبين لنا الى أي مدى استطاع الفنان ان يحقق الفرض الذي وضعه نصب عينيه وبأي الوسائل استطاع ان يحقق هذا الفرض .

ومهما يكن من امر فقد شاعت الى جوار هاتين المدرستين مدارس أخرى نذكر من بينها المدرسة التاريخية التي تحاول أن تفسر العمل الفني في ضوء الاطار التاريخي الذي وضع فيه هذا العمل ، وتولي أهمية خاصة لتاريخ حياة الفنان نفسه ، كما تقارن بين العمل الفني وبين الأعمال الفنية الأخرى ، وبخاصة المشابهة لها في العصور المختلفة .

وحينما جاء ماثيو ارنولد (١٨٢٢ — ١٨٨٨) ووجد هذه التيارات النقدية المتباينة وما فيها من زيف وتضليل في بعض الأحيان اراد أن يطهر النقد من شوائب الأهواء والميول والاهتمامات الشخصية ومن شوائب التقدير التاريخي للعمل الفني ، ذلك التقدير الذي يجعل الناقد يبالغ أحيانا في تقييم هذا العمل على انه يمثل مرحلة من مراحل التطور في تاريخ أمة من الأمم بدلا من أن ينظر اليه في حد ذاته ويقيمه على اساس مكانته الحقيقية دون مراعاة لأية اعتبارات اخرى . وهكذا تعرض ارنولد في مقاله عن دراسة الشعر ، الذي نشر عام ١٨٨٨ كمقدمة عامة لكتاب (الشعراء الانجليز) لما اسماه (التقدير الحقيقي) وهو في نظره سبيل الناقد النابه في حكمه على العمل الفني ، اذ يقول في صدد نقد الشعر : « ثمة وسيلة مثلى تعيننا على اكتشاف اي أنواع الشعر تندرج تحت طبقة الشعر الممتازة حقا ، وبالتالي يمكن ان تفيدنا فائدة كبيرة . هذه الوسيلة هي أن تتمثل في اذهاننا دائما بضعة أبيات وتعبيرات لفحول الشعراء ونستخدمها كمحك لقياس قوة الشعر الآخر . » (١) والى جانب هذا كان أرنولد يرى ان الشعر نقد للحياة ، وأن الأدب الجيد يتضمن مستويات خلقية معينة ، ولذا فان الشعر سوف

(١) انظر Matthew Arnold, Essays in Criticism, Second Series, London, 1958, p. 10.

يحل يوما ما محل الدين ، اذ أن الدين في رايه عبارة عن « ضرب من ضروب الأخلاق ولون من الوان الفلسفة الخلقية » (١) كما يرى أن «الأدب في استطاعته ان ينهض بالبشرية والحياةالانسانية الى مستوى رفيــــع . » (٢) وعلى كل ، مهما اتسمت آراء ارنولد النقـــدية بضيق الأفق والشطط أحيانا فان الفضل يرجـــع اليه في تنقية مجال النقد من الزيف والخداع والسوقية والشعوذة التي كانت سائدة في عصره .

وجدير بالذكر ان المؤلف ينتهج سبيلا قويما في دراسته للنقد فهـو لا يقتصر في حديثه على تيارات النقـــد فحسب بل يربطها أوثق رباط بالاتجاهات الأدبية التي كانت غالبة في عصر من العصور ثم يبين بعـــد ذلك المنهاج الذي كان يسلكه النقد : ويوضح أهـم الواجبات المنوط بها النقاد في هذا العصر ، ففي حديثه مثلا عن الاتجاه الميتافيزيقي في الأدب عامة والشعر خاصة الذي ساد في القرن السابع عشر في انجلترا يعطي القارىء فكـرة جلية موجزة عن خصائص هذا الاتجاه ، ثم يقول « لهذا يجدر بنا أن نشير في هذا المضمار الى تلك الحقيقة التي تنادي برفع راية الحذر حينما يتعرض الناقد لبحث هـــذا النوع من الشعر ، فمن الواجب عليه الا يطلق العنان للجرى وراء المجردات والمفاهيم فيخرج عن جوهر القصيدة التي هو بصــــدد نقدها ، ويبعد عن محورها ولبها ، فالشعر الميتافيزيقي يجمع بين الجسد والروح والعاطفة والفكر ، والاحساس والتأمل . والواجب الحقيقي للناقد (هو) أن يزيح الستار عن كل هذه العناصرويبين مواطن الضعف والقـــوة فيها ، ونعني بذلك تماسكها او انحلالها وتفككها » (ص ٧٣ ج ٢) . كما يقول في مجال الحديث عن الاتجاه الأجتماعي في الشعر المعاصر أن مهمة الناقد هي أن « يبرز لنا الخيوط التي تكون في مجموعها ذلك النسيج الاجتماعي الذي نسج الشاعر على منـــواله ، فيوضح لنا اتجاهه ، ويشير اشارات واضحة الى الخبرات الاجتماعية التي تتضمنهاالقصيدة، ثم يحدد لنا تلك الصلة او الصلات الوثيقة التي تربط القصـــيدة بالمجتمـــع الذي عاش فيه الشاعر . » (ص ٧٨ ج ٢) .

اما في العصر الحاضر فقد وصل النقـــد في انجلترا الى علم له أصوله ومبادئه ، ولعل ابرز حاملي لواء هذا الاتجاه الجديد في النقد هـــو ت . س . اليوت و ١ . ١ . رتشاردز . وعلى الرغم من صعوبة هذا الاتجـــاه فقد استطاع المؤلف أن يعرض لنا آراء هذين الكاتبين العظيمين في شيء من الوضوح والتبسيط مما لا يغلق فهمه على القارىء العادي والمتخصص على السواء . وهو يتحدث عن ت . س . اليـوت في حماس ولهفة شديدين ، ولا غـــرو فقـــد ارتفع اليوت بالنقد الى مستوى علمي جـــدير بمهمة الناقد السامية في توجيه الأدب وخلق قيم حقيقية ، فلفت الأنظار الى أهمية الحكم على العمل الفني في حد ذاته دون مراعاة ذاتية الشاعر وشخصيته والأمور التي تتعلق بفرديته ، وذلك عن طريق تحليل العمل الأدبي تحليـلا يعتمد على تنبيـــه القارىء الى مواضع الحسن والقبح في هـــــذا العمل ، وعن طريق ابراز شواهد يدلل بها الناقد على تلك الحقائق التي يشير اليها من واقع العمل نفسه ، ومن خلال عقد موازنات بين أجزاءالعمل نفسه وبين العمل من جهة والأعمال الأخرى التي تكون جزءا من التراث الفكري في الماضي من جهة أخرى . والناقد في هذا الوضع يتخلى عن آرائه الشخصية ويتجرد من أهوائه الذاتية في سبيل « دعم الأسس الموضوعية التي يرتكز عليها النقد الحديث » كما يقول المؤلف .

وعلى ذلك تصبح مهمة الناقد محصورة في نطـــاق تفسير العمل الفني « وتوضيح أسراره الخفية التي ترمز اليها الأعمال الفنية » وأبراز مواطن المتعة الفنية (الناحية الجمالية) ومواطن الناحية الانفعالية والشعورية الى جانب الناحية الادراكية عملا على تقويم ذوق القارىء وتزويده بالحقائق الموضوعية .

هذا وبالكتاب بعض الهنات أعرض لهـــا فيما يلي :

اولا : يحمل الجزء الأول من الكتاب عنوانا جانبيا هو « أصول النقد ومبادئه عند الاغريق

---

(١) ص ٤٦ ، مذاهب النقد ونظرياته ، الجزء الثاني .

والرومان ؛ خصائصه أبان عصور أوروبا الوسيطة .. الخ » وبصرف النظر عن أن موضوع الكتاب هو مذاهب النقد ونظرياته فى انجلترا ، وبهذا يكون النقد عند الاغريق والرومان خارجا عن نطاق الكتاب ، فمادام الكاتب تعرض للنقد عند الاغريق وتناول بالتفصيل أنواعه من شعر غنائى وشعر ملحمى وفن مسرحى ، كما تعرض لفحول الادباء والنقاد الاغريق امثال هوميروس ويوربيديس وارستوفان وافلاطون وارسطو ، وافرد لهذا الغرض الفصل الأول برمته الذى يستغرق حوالى ثلاثين صفحة كان من المتوقع ان يتناول النقد عند الرومان ولو فى شىء من الايجاز فى نفس الفصل ، ويوازن بين نظرية الاغريق عن الأدب ونظرية الرومان .

فاذا كان الاغريق قد اعتبروا الأدب محاكاة الطبيعة تتحكم فيها عقولنا وتعيد تصويرها لنا من واقع مادة الحياة ، فان الرومان اعتبروا الأدب رفيعا يهدف الى بث الأفكار السامية فى نفوس الناس ويلقنهم القيم الأخلاقية الرفيعة مثل ضبط النفس وقوة العزيمة .

وهو اتجاه كان له أكبر الأثر فى أدب القرن الثالث الى السابع الميلادى ، كما يقول المؤلف بعد ذلك ، وكذا فى ادب القرنين السادس عشر والسابع عشر . ولكن المؤلف لا يشير الى هذه النظرية الا لماما فى غضون الصفحات التالية **للفصل الأول .**

ثانيا : أما حديثه عن يوربيديس فينقصه شىء من الترابط والمنطق اذ يقول ان يوربيديس تأثر عموما بالمدرسة السوفسطائية التى تسببت فى احداث **اتجاه عام حيال الأدب** ظهرت آثاره واضحة فى الفن المسرحى وبخاصة عند يوربيديس (ص ١٨ ج ١) ثم يعود فيقول فى نفس الصفحة « نجد ان هذا الكاتب **تنقصه الوحدة فى التفكير ، والفلسفة التى تتميز بطابع معين** ، فيوربيديس شاعر مسرحى **متقلب** يقبل اتجاها فكريا معينا تارة ثم يدحضه تارة أخرى » . ثم يعود فى ختام حديثه عن يوربيديس فيقول : « وقبل ان اختتم الحديث عن هذا الكاتب المسرحى أود أن أشير الى بعض خصائصه وهى **قدرته على خلق وحدة فكرية متكاملة** لها بالطبع عناصرها وخيوطها المتشعبة » . (ص ٢٠ ج ١) .

ثالثا : يذكر المؤلف فى معرض الحديث عن ارسطو وتربية الذوق الفنى فى دراسة الادب ان ارسطو يشير الى « اهمية الوحدة والتماسك فى الانتاج الفنى ، كما يشير الى ناحيتى التوانق والتناسب بين الأجزاء المكونة له . ولهذا فانه نادى **بوحدة الزمان والمكان** فى المأساة » . ص٢٩–٣٠ ج ١) وانى اختلف تماما مع السيد المؤلف فى **هذا القول اذ انه من خلال دراستنا لكتاب** « الشعر » لأرسطو نستطيع القول بأن ارسطو لم يؤكد سوى **وحدة الحدث** كقاعدة فى العمل الفنى . أما فيما يتعلق بوحدة الزمان فقد ذكر فى مجال حديثه عن المأساة انها « تحاول ، على قدر الامكان ، أن تحصر حدثها فى حدود دورة واحدة للشمس ، أو نحو ذلك » (١) وهو يعنى بذلك أن الكتاب المسرحيين اليونانيين كانوا يحاولون أن يجعلوا الحدث الدرامى يستغرق حوالى اربعا وعشرين ساعة ، وارسطو بهذا يثبت حقيقة تاريخية لا رأيا شخصيا نسجله عليه ، كما انه **لم يشر من قريب او بعيد الى وحدة المكان . ولكن المعروف ان النقاد الايطاليين فى** القرن السادس عشر استنبطوا خطأ من كتاب (الشعر) لأرسطو هذا المبدأ المشهور ، مبدأ وحدة الحدث ووحدة الزمان ووحدة المكان . وقد جاء ذكر هذه الوحدات الثلاثة أول ما جاء على لسان كاستلفترو Castelvetro فى طبعته لكتاب (الشعر) عام ١٥٧٠ ، ثم نقله عنه السير فيليب سدنى فى كتاب (دفاع عن الشعر) حوالى عام ١٥٨٠ .

رابعا : والى جانب هذا هناك بعض هفوات فى الأسلوب كنت أود أن يبرأ منها الكتاب حتى تتسق مع أسلوبه الرشيق وعباراته الرصينة السلسة وتشبيهاته الشفافة :

(١) يقول عن اوديب انه (**طعن خنجرا فى عينيه**) ص ١٥ ج ١ ، **واعتقد أن صحتها (طعن**

(١) انظر Airstotle, Poetics, Everyman's Edition, London, 1949, p. 13.

عينيه بخنجر) اذ أن طعن فى (شخص مثلا) تأتى بمعنى ثلبه وعابه واعترض عليه .

(ب) يقول فى الملهاة عند اليونان أنها كانت تعتمد فى بنائها الفنى على الغريب من الأفكار او كل ما هو بعيد عن المألوف مثل « صعود بطل المسرحية الى طبقات الجو العليا » (ص ٢٢ ج ١) وهذا التعبير يبدو كأنه فى كتاب للطبيعة أو للكيمياء لا فى كتاب عن النقد الأدبى ، ولعل المؤلف يقصد (صعود بطل المسرحية الى العالم العلوى) او (الى السماء) .

(ج) كما يقول عن الأدب الانجليزى فى العهد الدنماركى : « ولما جاء الغزو الدينماركى على انجلترا فى القرن العاشر الميلادى ص ٦٣ ج ١ . وأظن هذا التعبير اقرب الى الانجليزية منه الى العربية وكان الأنسب لو قال مثلا « ولما تعرضت انجلترا للغزو الدينماركى .. الخ » .

(د) يتحدث عن المدرسة المعاصرة فى الشعر فيقول ان بعض المعاصرين من الشعراء « يرون فى بعدنا عن الحقيقة انهدارا للقيم » (ص ٧٤ج٢) وصحتها (اهدار) من اهدر الشىء أى ابطله . وكذلك يقول فى نفس الموضع « ومن ثم يجدر بنا أن نشير الى ان اهمية الناقد الذى يعالج هذه الناحية هى أن يبرز لنا الخيوط .. الخ » (ص ٧٨) ولعله يقصد مهمة الناقد فهى اقرب الى سياق الحديث من لفظ (اهمية) . أو كان من الممكن على الأقل أن يقول ان « اهمية الناقد .. ترجع الى ابراز الخيوط .. » .

(هـ) يتحدث عن ت . س . اليوت فيقول « يتطلع اليه الكتاب على انه من اعظم شعراء انجلترا فى العصر الحديث اذ لم يفوقهم جميعا فى كتاباته القوية وحجته الراسخة وفكره العميق » (ص ٨٣ ج ٢) وأعتقد أن هذا خطأ مطبعى أو من قبيل السهو اذ يقصد الكاتب أن يقول (اذ يفوقهم جميعا) . ويقول فى نفس المكان « وشرب من هذه المناهل العذبة ما طاب له منها ، وارتوى من خضم المعرفة العميقة المدى ما شاء له . (ص ٨٣ ج ٢) ولو قال « اغترف من خضم المعرفة » ، لكان اقرب الى الصواب فلست أدرى كيف يرتوى الانسان من ماء البحر والمعروف انه ملح اجاج .

(و) يكرر فى اكثر من موضع اسم الشاعر الايرلندى المعاصر Louis Mac Neice فيكتبه (لويس ماكنيس) (ص ٧٤ ، ١٢٤ ج ٢) وصحة نطقه (لوى ماكنيس) .

وبعد فمهما كان من أمر هذه الهنات الهينات فانها لا تنتقص من قدر هذا المجهود الشاق الذى بذله المؤلف فى هذا الكتاب وجمع فيه بين دقة العرض وطلاوة الأسلوب ووضوح الفكرة وتبسيطها ، اذ ليس من اليسير أن نجمع تاريخ النقد ومذاهبه ونظرياته فى هذه الحقبة الطويلة فى مثل هذا العمل الذى جاء وافيا بالغرض الذى وضع من اجله .

على جمال الدين عزت

مطالعات فى علم النفس

تأليف الدكتور مصطفى سويف

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

١٩٠ صفحة ١٧×٢٤ سم الثمن : ٤٥

● فى أواخر النصف الأول من القرن العشرين قامت فى مصر نهضة علمية وثقافية فى ميادين علم النفس وصدر عن الباحثين فيها الكثير من الكتب والمراجع المؤلفة منها والمترجمة. وهذا النشاط مرده الى التوسع الراسى والأفقى فى مجالات البحث والتجارب التى تعمقت فى الوصول الى اغوار النفس البشرية ومعرفة نوازعها ودوافعها وابعادها ــ فضلا عن رسوخ قدم علم النفس بين سائر العلوم الانسانية والاجتماعية . وضبط المقاييس وتقنين الأبحاث التى اجريت فى شتى فروعه .

● ورغم انتشار المؤلفات فى علم النفس وكثرة الأبحاث والتجارب التى أجريت على نماذج مختلفة بميادينه المتباينة ــ فالعالم ما زال حديث عهد بمعرفته كعلم له قواعده وقوانينه ونظمه بعد أن كان فرعا من فروع المعرفة الفلسفية . ونظرياته كثيرا ما تثير الوانا من الجدل وصنوفا من النقد وان كان هذا النقد وذاك الجدل يعمقان فى النهاية آراء العلماء وأبحاث الباحثين ويخدمان العلم والمنتفعين به .

● ولم تنفرد للنفس دراسات مستقلة ــ تقومها كعلم قائم بذاته بين سائر العلوم الانسانية ــ الا منذ قرن من الزمان حينما قام علماء الغرب بالتقنين للأبحاث والتجارب التى ألقيت عليها . وتداول علماء العرب هذا اللون من المعرفة منذ أوائل القرن العشرين ودخلت دراساته بيوت العلم وتكونت ببعض الأقطار العربية هيئات وجماعات تحمل اسمه وترعاه وتسعى لتعميق البحث فيه ونشره بين ارجائها والاستفادة منه فى ميادين التربية والتعليم والصناعة والاجتماع والطب والعلاج وما الى ذلك .

● ومن الجماعات ذات الأثر الفعال فى بث النشاط العلمى ونشر الثقافة النفسية جماعة علم النفس التكاملى التى بدأت نشاطها فى القاهرة عام ١٩٤٥ باصدار «مجلة علم النفس» مستوحية الحقائق السيكلوجية فى معالجة الموضوعات العلمية ناشرة بجانب المقالات العربية ابحاثا ومقالات لعلماء من الغرب بلغتهم الأصلية من انجليزية وفرنسية مع ترجمتها أو تلخيصها باللغة العربية . وكان القائمون على المجلة يتبادلون المطبوعات النفسية مع الجامعات ودور النشر الأجنبية التى تصدر مجلات فى علم النفس . وكان لهذا التبادل الثقافى الدولى اثر كبير فى رفع شأن الدراسات السيكلوجية العربية فى الأوساط العلمية العالمية وتسابق المجلات الأمريكية والانجليزية والفرنسية على نشر الكثير من مقالات مجلة علم النفس المصرية ــ اذكر منها على سبيل

المثال لا الحصر مجلة Psychological Abstracts الأمريكية ، BritishJournal of Psychology Science News الانجليزية .

● وفى عام ١٩٤٨ انشئت الجمعية المصرية للصحة العقلية وكان فى مقدمة اهدافها رفع مستوى الوعى بالصحة النفسية بمختلف الوسائل — من عقد الندوات والقاء المحاضرات الى اصدار النشرات وتشجيع البحث العلمى فى ميدان الطب النفسى والعلوم النفسية . واهتمت الجمعية بأن تصدر مجلة الصحة النفسية وقد صدر العدد الأول منها فى أبريل سنة ١٩٥٨ وكان لها اثر قوى فى نفوس المشتغلين بعلم النفس خاصة بعد احتجاب مجلة علم النفس — واصبحت منبرا لأصحاب البحوث النفسية ومسرحا لابراز نشاطهم العلمى والثقافى.

● وهذه العجالة الموجزة عن النشاط الثقافى النفسى ، والهيئتين الرائدتين فى هذا المجال القصد منها الوصول الى ان كتاب مطالعات فى علم النفس هو امتداد فردى للمجهود الجماعى الذى قام على يد جماعة علم النفس التكاملى عام ١٩٤٥ ونشر مقالاتهم وابحاثهم فى مجلة علم النفس وكتابها السنوى والجمعية المصرية للصحة العقلية باصدارها مجلة الصحة النفسية .

● والدكتور مصطفى سويف من الأساتذة المصريين الذين لاقوا الكثير فى سبيل الوصول الى نتائجهم المثمرة فى ميدان علم النفس وبذلوا مجهودا يستحق التقدير فى ميادين البحوث النفسية والتربوية ، وهو لا يكف عن مداومة ربط كل حديث من المعرفة السيكلوجية بالقديم من النظريات والآراء . وكتابه مطالعات فى علم النفس قسمه الى اربعة أبواب الأول فى علم النفس الاجتماعى . والثانى فى التحليل النفسى والثالث فى الاطار العلمى لعلم النفس . والرابع فى رسالة علم النفس الاجتماعية .. ولو انصف الدكتور سويف لقسمه الى ثلاثة فقط موزعا الباب الرابع على الثلاثة الأول اذ ان عرض تقرير « المؤتمر الدولى للصحة العقلية » كان الأولى به أن يضيفه الى باب « الاطار العلمى لعلم النفس » لانه تقرير يفيد القارىء من الناحية العلمية



ويضيف اليه جديدا من المعلومات والآراء والأبحاث التى القيت فى المؤتمر ، وان كان من بين الموضوعات التى يحويها الكتاب آراء تستحق أن يفرد لها مجلدات مستفيضة لما لها من صلة قوية بالحرب والسلام والتعايش السلمى ودراسة النفس البشرية من الناحية القومية الاقليمية والعالمية .

فالأستاذ بتلر رئيس الجمعية الأهلية للصحة النفسية بانجلترا الذى استهل كلمته (ص ١٧٤ — ١٧٥) فى المؤتمر بالاشارة الى ضرورة تعاون القوى الاجتماعية بما فيها جهود العلماء للعمل فى سبيل توفير الشروط النفسية الملائمة لانتشار التفاهم الدولى والثقة بين الأمم — والارتباط الوثيق بين التربية والصحة النفسية والحياة الاجتماعية والحياة الدولية ارتباطا من شأنه مواجهة المشاكل الحاضرة التى خلقتها الحرب الأخيرة وتوجيه النفوس للايمان بالقيم الجديدة التى تتلاءم والأحداث والتغيرات التى طرأت على مجتمعات ما بعد الحرب .

هذه الكلمة من جانب عالم نفسى فى موضوع حيوى يستحق أن يطرح على بساط البحث مفردا له كتابا مستقلا .

● هذا ولا يقل عن ذلك الرأى خطرا وشأنا رأى الأستاذ هنريك روكسو . H.Roxo. رئيس وفد البرازيل فى ذلك المؤتمر ص ١٧٥ الذى نادى بضرورة فهم الجانب النفسى من الموقف العالمى الحاضر كشرط للتقدم نحو عمل حاسم فى سبيل السلام . وذلك لأن سلوك الناس بعد الحرب قد تغير عما كان من قبل . وهم الآن اكثر قابلية للتهيج واستعدادا للانهيار العصبى وازدادت نسبة الاصابة بالأفكار المتسلطة والمخاوف المرضية التى لا مبرر لها . ومن ثم فان واجب الهيئات الصحية أن تتعاون مع الحكومات فى سبيل تدعيم الفكرة والعناية بالذهانيين والعصابيين .

● ولو اقتصرت محاولات علماء النفس على العمل فى سبيل تدعيم السلام ونشر التفاهم الدولى لكفاهم هذا مئونة البحث فى علاج كثير من امراض الحروب والقلق الذى يساور المجتمعات والأفكار التسلطية والمخاوف المرضية التى تنتهى ابان الحرب الباردة والحرب الساخنة وما بعدهما .

والدكتور مصطفى سويف ذكر فى المقدمة أن مقال « ديناميات الجماعة » (ص ١٨ — الى ص ٤١) من الميسور ادراجه فى الجزء الخاص « بالمطالعات فى الاطار العلمى لعلم النفس » وانا اخالفه الرأى فى ذلك مؤيدا وضعه فى اطاره الحالى بالكتاب وهو « مطالعات فى علم النفس الاجتماعى » وذلك لما للمقال من صلة وثيقة بعلم النفس الاجتماعى . ولما للظواهر الاجتماعية التى أوردها من ارتباط بمفهوم الجماعات ومدلولاتها النفسية ، وان تجارب مورينو J. L. moreno. ، نيوكوم T.m. Newcomb تراشر F. m. Thrasher خير دليل مؤيد لذلك .

● وعرض الدكتور سويف كتاب Uses and Abuses of Psycolsgy (من ص ١٨٤ — ١٩٠) للأستاذ ايزنك استاذ علم النفس فى جامعة لندن. فى الصورة التى نشر بها كمحاضرة أو مقال القى بالاذاعة كان يقتضى أن يجهد نفسه قليلا فى اخراجه مبعدا عنه الاستهلال بكلمتى « سيداتى سادتى » . ويصوغه فى قالب كتابى لا اذاعى حتى يشعر القارىء أن الكتاب لم يكن جله على هذه الصورة نتيجة تجميع مقالات سبق عرضها فى اكثر من مجال .

هذا وقد غلب على الدكتور فى عرض هذا الكتاب الأسلوب الاذاعى المشوب بالرأى الذاتى لا رأى المؤلف نفسه وهذا ما يبعدنا كثيرا عن فكرة « عرض الكتاب » .

● وفى عرضى لجوانب كتاب « مطالعات فى علم النفس » . انما اتناول الناحية التاريخية للنشاط الثقافى النفسى الذى ظهر قرينا لهذا الكتاب ثم الناحية الشكلية للكتاب. ثم الموضوعية منه .

وفى الباب الخاص بمطالعات فى التحليل النفسى عرض الدكتور سويف « التحليل النفسى والدراسات الاجتماعية » (من ص ٨١—٩٢) عرضا شائقا منمقا ولكنه مختصر اختصارا يكاد يكون مخلا اخلالا افقد بعض النقاط الرئيسية قيمتها ففى :

« الطوطمية والطابو » ذكر الدكتور الدعائم الأربع التى شيد عليها فرويد بحثه وهى المقدس والمدنس — والخوف الذى يبديه البدائيون من الاتصال الجنسى بالمحارم — ومعاقبة المنتحبين على الميت لأنفسهم جزاء ما حملوا للميت من رغبات شريرة — وان العلاقات الانسانية تحمل التناقض فى نفسها .

ذكر هذه الدعائم والرموز فى نظرية الطوطم ولم يورد من قريب أو من بعيد عقدة أوديب وأهميتها باعتبارها المفتاح الأول لفهم الجوانب النفسية فى الحياة الاجتماعية . علما بأن حولية التحليل النفسى والعلوم الاجتماعية Psychoanalysis and the Social Sciences ضغطت كثيرا على هذه العقدة وآثارتها فى اكثر من موضوع .

● هذا وقد مر الدكتور سويف فى عرضه لهذا الكتاب على النرجسية (ص ٨٧ — ٨٨) مرورا خفيفا يبعدنا عن عميق الأسطورة ودلالتها النفسية وما للأنا من علاقة بالليبيدو وعمليات الاسقاط .

● وانه وان كان قد اوجز فيما سبق فانه قد حلل تحليلا جميلا القسم الخاص بالأدب فى (ص ٩٠ — ٩١) من هذا الكتاب فاشارته الى

مقـــال كل من ادموند برجلر E. Bergler ، كلارنس أوبرندورف C. P. Oberendorf اشــارة تستحق التوقف للاشادة بما يحتويانه من معان قيمة وعبارات نفسية عميقة ذات صلة بالأديب وعمله ونفسيته وانطباعاته – واجمل ما فيهـا قول برجلر أن « الأديب لا يكشف فى ادبه عن رغباته اللاشعورية التى تســبب له الحصر بل الواقع انه يكشف عن وسائله فى الدفاع ضد هذه الرغبات .

« الأديب يجد فى التأليف الأدبى فرصة طيبة للكشف عن بعض الجوانب لعقدة اوديب » .

● وكذا عرض أوبرندورف للرأى الشائع عن أن الأديب يستطيع أن يتخذ من التأليف الأدبى وسيلة لشفاء نفسه من ضروب العصاب وأن سومرست موم وادجار آلان بو الشاعر الأمريكى وبودلير ، الشاعر الفرنسى وغيرهم من مشاهير الكتاب حاولوا ذلك كثيرا ولكنهم فشــلوا فى العلاج . لأنه قلما وجد المحلل الذى يهتم بأثر التأليف الأدبى فى الحـــالة النفســية للمؤلف والتنبيه الى الحوافز اللاشعورية التى تكمن وراء الاشارة او الرمز الذى يعبر عنه الروائى أو الأديب .

● وخلاصة القول أن الموضــوعات التى تضمنها الكتاب هى من الأهمية بمكان يستحق التنويه به والاشادة به ولكنه يعوزها الافاضة وعدم البخل فى الشرح والاطناب عند النقـــاط التى تحتاج الى ايضاح لا سيما وأن عنوان الكتاب « مطالعات » وهذا العنوان يحتاج ممن يطالع أن يطلع القراء على كل جديد وأن يضغط بفكره الثاقب على كل هام من الموضوعات ولا يمر مرور الكرام عند النظريات والآراء التى يعوزها البسط فى العرض . كما وأن الملخص عليه أن يضع نفسه موضع القارىء سائلا نفسه هل هذا التلخيص واف أم غير واف .. !!

● وان الدكتور مصطفى سويف قد جمع فى كتاب واحد ترجمة وتلخيصا لعشر مقالات وعرضا لخمس كتب تناولت موضوعات مختلفة تدور فى ذهن كل دارس للثقافة النفسية وباحث عنها . وهذا المجهــود بحق يستحق الشكر والتقدير من رواد علم النفس والمهتمين به .

محمد مراد البسطاسى





تأليف توفيق الحكيم

يعتبر « توفيق الحكيم » فى أدبنا المعاصر ظاهرة أدبية لها كل التقدير وهى جديرة بالبحث والدراسة .. ولما كان الحكيم يتمتع فى نفوسنا بمكانة عزيزة أثيرة لهذا يدفعنا الشوق دائما والاحساس بالفضول الى تقصى الحقائق التى تحيط بهذه الشخصية التى يدين لها أدبنا بالفضل الأكبر .. فلا جدال فى أن هذا الأدب الممثل فى « القصة ، والمسرحية » قد خرج بحق من اعماق ذلك الكاتب الفذ الفريد . فقد ادرك بادىء الأمر ، بحاسته الفنية ان تطور مجتمعه يحتاج الى تطور فى الأسلوب الادبى لا يعتمد على الأنغام اللفظية بقدر ما يعتمد على قوة تشكيلية معمارية .

وقد كانت « القصة والمسرحية » ، فى ذلك الوقت تعد ابلغ تعبير عن طبيعة تطورنا ..وكانت اذواقنا لا تستجيب لهذا اللون من الأدب وتنظر

الناشر : مكتبة الآداب
٢٩٤ص ١٤×٢٠سم ٣٥ ص

اليه نظرة استنكار .. كان هذا الصنف من الادب يعد بدعة يجب تجنبها والبعد عنها .. شأنه شأن « التمثيل » و « الموسيقى » و « التصوير » و « النحت » .. تلك الفنون التى كان لا يقر بها الا المغامرون المقامرون بسمعتهم .. فلا يستغرب اذن أن تبقى رواية « زينب » للمرحوم « هيكل » متدثرة بالظلام لايجرؤ مؤلفها على اعلان اسمه اعواما عديدة .. اى الى ان اعاد طبعها باسمه الحقيقى مرة ثانية ... ولايستغرب أن يقف الحكيم وقفة المتردد أمام كتاب « عودة الروح » بعد أن كتب منه مائة صفحة .. فقد كان يسأل نفسه هل يمضى فى كتابتها ؟ او يكف ويمزق ما كتب ؟ .. لكنه سرعان ما تابع كتابتها رغبة فى خلق شكل أدبى جديد .

والحق ان «الحكيم» عانى كثيرا ولقى اضطهادا وتعنيفا من جراء هوايته الأدبية .. فقد كان والده يقاوم هذه النزعة الأدبية التى تثور فى نفسه منذ الصغر .. وكان له بالمرصاد خشية ان يحيد عن الطريق الذى رسمه له .. اذ كان يريد منه ان يتأثر خطوه حتى يصير قاضيا مثله .. وبالفعل استطاع « الحكيم » أن يحقق رغبة والده فنجح فى دراسته الثانوية والجامعية لكنه على الرغم من ذلك فان والده لم يستطع أن يخلق منه رجلا يعمل بالقانون وينجح فى ذلك العمل .. ذلك لأنه كان يندفع دائما الى منابع الفن لينهل منها ويعمل جاهدا من اجل انضاج هذه الموهبة التى يتمتع بها .

نعود فنقول انه لما كانت لشخصية «الحكيم» تقديرها ومكانتها فى ادبنا المعاصر .. فاننا نجد فينا شغفا دائما الى مزيد من التعرف عليها والى مزيد من الاطلاع على الملابسات التى أحاطت بها .. ولذلك نتقبل الآن كتابه الجديد **سجن العمر** بكل حفاوة ونرحب به ايما ترحاب .. فقد اراد « الحكيم » بهذا الكتاب الجديد أن يكشف النقاب عن طبيعته وان يطلعنا على أسرار هذه الطبيعة التى تتدخل فى توجيه ميوله وافكاره واحاسيسه وتفرض عليه الطريق الذى يسير فيه .

وقد سبق ان قدم الينا « الحكيم » كتابا يتضمن تجربته الفكرية والفنية فى الأدب ، وهو عبارة عن مجموعة رسائل كان يكتبها لصديق فرنسى يحكى فيها مدى معاناته من أجل البحث عن ذاته والبحث عن الأسلوب الادبى اللائق الذى يعبر به عن هذه الذات .

ولم تكن تلك الرسائل كافية لمعرفة كل شىء عن « الحكيم » فقد كان مايزال هناك بعض الجوانب المجهولة عن شخصيته والتى تحتاج الى القاء الضوء عليها .. فقد كان يشوقنا حقا أن نعرف عن طفولته شيئا وكان من الممتع أن نرقبه وهو ينمو شيئا فشيئا حتى يصبح بهذه الصورة التى نعرفها عنه .. وكثيرا ماكنا نسأل : ما هى الخبرات والمؤثرات التى ألمت بهذه الشخصية ؟ وما هى التجارب التى خاضها وكانت سببا فى تشكيله بهذا التكوين الذى هو عليه الآن ؟ .. ومن هما أبواه ؟ .. وما هى طبيعة ملامحهما النفسية والاجتماعية ؟ ... كانت هناك أسئلة كثيرة لانجد لها جوابا .. وكأن « الحكيم » قد تعمد أن يطرح جانبا هذا الجزء من حياته وأن يعطينا نصف الحقيقة عن شخصه ، الممثلة فى **زهرة العمر** .. ليثير فينا احساس الشغف والشوق لمعرفة الحقيقة كاملة عن شخصه .

وقد اراد بكتاب **سجن العمر** أن يجيب عن كل هذه الأسئلة محاولا ان يرفع الغطاء — على حد قوله — عن جهازه الآدمى ليفحص تركيب ذلك « المحرك » الذى نسميه الطبيعة أو الطبع .. هذا المحرك المتحكم فى قدرته ، الموجه لمصيره : من اجل هذا يسأل « توفيق الحكيم » هذا السؤال :

« من اى شىء صنع ؟ .. من اى الأجزاء شكل وركب ؟ » .

ذلك هو موضوع الكتاب الذى سنتناوله الآن بالبحث والتحليل .. ففى هذا الكتاب يحدثنا « الحكيم » عن هذا الطبع الذى يعيش أسيرا له طول العمر .. وهذا الطبع الذى يقصده لا يخرج عن مجموع الخصائص التى ورثها عن

والديه ، وهى التى يسعى جاهدا للخلاص منها . .
فهو لم يختر هذه الخصائص المتناقضة المعقدة ولهذا فهو لا يريد أن يخضع لهذا الطبع الذى فرض عليه فرضا . .

لم يرتض لنفسه أن يكون عبارة عن خلاصة خصائص الأب والأم فقط . . فانه بذلك يفقد ذاتيته ولا يصبح سوى صورة مصغرة معادة غير اصيلة . . ولهذا يقف فاحصا مدققا لعناصر هذا التكوين الذى ورثه عن والديه .

لقد اراد ان ينتقى من عناصر والديه كل ما يفيده لكى يكون شيئا جديدا . . رافضا منها كل ما يعطل حركته ونموه وانتاجه الفنى . . وقد راى فى مجال الفكر والفن الملاذ الوحيد الذى ينشد فيه الحرية والانطلاق من قيد هذا السجن الذى ورثه عن والديه . . لكن الحكيم سرعان ما يكتشف ان هذه النزعة الدفينة التى تحثه على السعى وراء الفكر والفن لم تكن نزعته هو شخصيا ولم يكن له فيها حرية الاختيار وانما كانت نزعة والده المكبوتة الذى كان يود فى دخيلة نفسه أن تتاح له الفرصة والانطلاق على سجيته واتخاذ الشعر والأدب مجاله وميدانه . . لكن المجتمع المتزمت من جهة وضيق ظروفه من جهة أخرى حالا دون تحقيق ذلك . . ولهذا وجد « الحكيم » نفسه يرث عنه هذه النزعة الدفينة المكبوته لكى يقوم هو بدور تحقيقها فى عالم الواقع . . والحكيم ينوء بهذا الثقل الذى ورثه عن والده وهو يشكو من انه يكلفه اكثر مما فى طوقه وكم كان يود لو ان والده قد تمكن من افراغ كل ما فى نفسه من رغبات وميول أدبية حتى يعفيه هو من هذا الداء الذى أصابه ، وهو الأدب . . حينئذ كان فى امكانه ان ينصرف عنه الى شىء آخر قد لا يرهقه كل هذا الارهاق .

كان يود لو يحدث له ذلك مثلما حدث لأبناء رجال مثل « لطفى السيد » أو «أحمد شوقى» . . فأبناؤهم لم ينزعوا الى الأدب لان آباءهم لم يكبتوا تلك النزعة بل أفرغوها واطلقوها بكل طاقاتها وقوتها فى حياتهم . .

لقد اكتشف « الحكيم » اذن انه لم يخرج من هذا السجن عن طريق نزعته الفنية والأدبية



فما هو الا سجين نزعة والده . . ومع انه حاول كثيرا أن يفلت كما يحاول كل سجين الا انه كان يشعر دائما كمن يتحرك فى اغلال ابدية .

لم يستطع اذن الافلات من سجن والديه وبمعنى آخر لم يستطع ان يتخلص من قانون الوراثة الذى يتحكم فى جميع عناصر تكوينه ويحرك ميوله واحاسيسه التى لاتعدو أن تكون قبسا من طبع والديه . . فما هو الا عجينة من العناصر المتناقضة التى ورثها عنهما . . كل ما استطاع ان يضيفه الى تكوينه انما هو ذلك الدافع الذى جعله عصيا لرغبة والده . . فقد كان يريد منه ان يقتفى أثره وان يبتعد قدر الامكان عن نزعته الفنية والأدبية التى قد تفسد عليه مستقبله . .

لكن « الحكيم » يشعرنا بالأسى حين يذكر الجهد الذى بذله فى الكفاح والصراع ضد العوائق التى وضعها اهله فى طريقه ومن خلفهم المجتمع كله فى ذلك الوقت . . فوالده الذى أورثه حب الأدب هو نفسه الذى يصده عن الأدب ، ووالدته التى أورثته الارادة تقفبارادتها دون رغباته الفنية . . لقد كانت حريته الباقية اذن هى فرصته الوحيدة وسلاحه الوحيد فى مقاومة كل تلك العقبات ... صحيح انه سجين هذه النزعة التى لقفها من والده لكنه حر فيما اكتسبه من ثقافة . . فكل ما شيده بنفسه من فكر وادب وفن انما يعد ملكه الخاص

لا يشاركه فيه أحد .. ذلك هو الجانب الذى كان موضع الصراع والخلاف بينه وبين اهله وهو الجانب القوى الذى يستوحى منه كل قوته.. وعن طريقه استطاع أن يحقق حريته وانسانيته .

لكن علينا الآن ان نسأل هذا السؤال :

ما هى هذه النزعة الفنية الدفينة التى سيطرت على وجوده وتطلبت لتحقيقها من المواهب أكثر مما عنده (على حد قوله) واقتضت من الجهود ما كاد ينوء به ؟

لقد حاول الحكيم أن يتقصى جذور هذه النزعة الغامضة ويتابع نموها فى أعماقه وكيف عبرت عن نفسها فى مظاهر فنية عديدة ؟

ولعل أول مظهر من مظاهر انفعاله بالجمال الفنى قد اتخذ صورة التلاوة القرآنية الجميلة فيوم كان فى الريف احضروا له شيخا يحفظه القرآن ويعلمه مبادىء القراءة والكتابة وقد كان ذلك الشيخ جميل الصوت .. فهو يعلمه ويحفظه ثم يقوم ليؤذن للصلاة فى المصلى القائمة على حافة الترعة .. كان الاعجاب بصوت هذا الشيخ حافزا له على محاكاته فكان يحفظ مايلقنه أباه من الآيات ليتلوها مثله بصوت جميل وقد شعر لأول مرة فى قرارة نفسه بما يشبه الشعور باللذة الفنية .. ذلك الذى يمكن أن يوصف اليوم باحساس الفنان وهو يقوم بعمل فنى .

وكانت هناك صورة أخرى يشعر نحوها بالفن وهى الممثلة فى مولد « سيدى ابراهيم الدسوقى » « والموكب الذى كان يمر من تحت نوافذ منزله حيث يركب الخليفة على حصانه شاهرا سيفه تحف به البيارق والأعلام والبنادير والرايات بمختلف الألوان والطبول الكبيرة والمزامير بمختلف الأحجام ثم عربات النقل الكثيرة يتلو بعضها البعض فى صف طويل لا ينتهى تجرها كل أنواع الدواب من خيول وبغال وحمير وبقر وجواميس وثيران .. » .

على أن بدء اهتمام «الحكيم» بالفن الحقيقى كان يبدو فى صورته المباشرة يوم هبطت وقتئذ بمدينة « دسوق » « جوقة » الشيخ سلامة حجازى .. ويقول « الحكيم » فى هذا الصدد أن أهل البلد قد نصبوا لهذه الجوقة مسرحا من الخشب فى احدى رحبات البلد وغطوه بقماش الصواوين وقد رفعت عليه الزينات وتدلت (كلوبات) الغاز وارتدى أفراد « الجوقة » ملابس (شهداء الغرام) أى « روميو وجولييت » « لشكسبير » وقد راحوا يطوفون بشوارع البلد فى ملابس التمثيل المزركشة وقد تدلت شعورهم الشقراء المستعارة على الاكتاف تعلوها قبعات القرون الغابرة المحلاة بالريش الطويل ، والخناجر والسيوف تبرز من أحزمتهم .

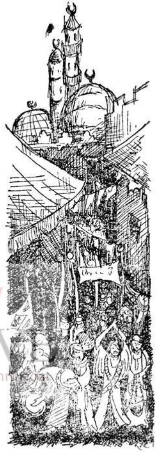
ولقد تفتق خيال الحكيم منذ الصغر حين سماعه القصص التى كانت تحكى على لسان والدته فقد كانت طريحة الفراش بسبب ما أصابها من مرض وكانت تشغل وقتها بقراءة قصص « ألف ليلة وليلة » وعنترة وحمزة البهلوان وسيف بن ذى يزن ونحوها وكان الحكيم يشعر بمتعة بالغة فى الانصات الى مثل هذه القصص وقد كان هذا بمثابة الدافع الذى جعله يسرع فى تعلم القراءة .. ولقد صار يبحث عن تلك القصص التى كان يراها فى يد والدته حتى عثر عليها فى صناديق الأمتعة القديمة فانكب عليها وراح يلتهمها التهاما » ..

على أن موهبة « الحكيم » لم تتفتح بشكل واضح الا فى مجال المسرحية .. ويعلل «الحكيم» تفضيله كتابة المسرحية عن القصة بأن القصة تحتاج الى تحليل وتفاصيل وهذا ما لا يتفق مع طبعه أما المسرحية فهى تعتمد على الجدل والمنطق والتركيز ووضع الكلمة فى موضعها وحوار النفس .. وكل هذا يتمثل فى طبيعة القاضى .. تلك الطبيعة التى ورثها عن والده الذى كان كل شىء عنده يخضع لميزان عقله وفحصه الدقيق .. فهو دائما رجل متزن معتدل لا يعرف الافراط أو التفريط .. وانما يلتزم دائما بالوسط الذهبى الأرسطى .. ولهذا فقد ورث « الحكيم » عن والده طبع الاقتصاد وعدم الاسراف سواء فى نقود أو كلمات .. ولعل هذا من أسباب تفضيله المسرحية فهى فن اقتصادى بخيل .. الكلمات فيها محسوبة بدقة والوقت مقيد والحيز محدود . لا محل فيها للاسراف والانفلات .

وهناك تعليل آخر يفسر به « الحكيم » سبب تفضيله « المسرحية » ذلك التعليل الذى يتمثل فى طبيعة ميراثنا الأدبى نفسه .. فقد لاحظ أن طبيعة التركيب والتركيز عند العـرب يمكن ملاحظتهـا فى الشـعر والفكـر والأدب والبلاغة .. هذه الطبيعة انما هى جوهر الفن المسرحى . ولهذا فهو يعتقد أن السليقة العربية انما هى سليقة مسرحية .. واذا كانت الظروف المختلفة قد حالت دون تجسيم هـذه السليقة بالطريقة المعروفة عند اليونان فان ذلك لم يمنع من ظهور بوادرها فى أشكال أخـرى تتمثل فى مشاهد من رسالة الغفران للمعرى أو قطع من حوار فى « الأغانى » أو صـفحات من كتـاب « للجاحظ » حيث يتضح ذلك البنـاء المحكم للصورة والعبارة والاصابة المباشرة بلا لغـو ولا فضول . فهناك تلوين سريع مركز للشخصية أو العاطفة أو الفكاهة أو الشعر .

كل هذه الأسباب جعلت « الحكيم » يشعر بجذور عميقة خفية لهذا الميل الذى يدفعه دائما نحو الفن المسرحى والذى لازمه وسار معه فى كل خطوة من خطوات حياته ودراسته . ولقد كان انتقال « الحكيم » من الريف الى القاهرة له من الرحابة والحرية ما جعله يتنفس بعمق .. فقد اتجه الى المسرح بكل ما يحتمله وقته وجيبه وكان « جورج أبيض » قد انفصل عن جـوقة الشيخ « سلامة حجازى » واستقل بفرقة خاصة تمثل التراجيديا بغير قصائد ولا الحان .. اى التمثيل من أجل التمثيل .. لا التمثيل من أجل الغناء .. وكان هذا شيئا جديدا لم يجرؤ عليه الا « جورج أبيض » وحده .

وما من شك فى أن تأثير « جورج ابيض » على الشباب المثقف كان قويا وقد كان قوام عمـل جورج أبيض وفنه يتمثل فى التراجيديا فى أرقى أنواعها : « أوديب الملك » و «هاملت» و «عطيل» وغيرهم .. وكان « الحكيم » شـديد الاعجاب بجورج أبيض يحفظ صفحات بأكملها من «عطيل» و « أوديب » و « لويس الحادى عشر » .. وكان يلقيها بطريقته مع بعض الهـواة من زملائه فى أوقات الفراغ . ولم يكن يعوقه من حضـور



حفلاته بدار الأوبرا الا النقود .. فما أن يعثر على خمسة قروش فى جيبه حتى يسابق الريح الى هناك .. فى أعلى «التياترو» ثم يعود فى منتصف الليل ماشيا من الأوبرا الى شارع سلامة « بالبغالة » .. ولم تكن عودته المتأخرة تستلفت النظر فى بيت أعمامه الشبان .

وهكذا عاش « الحكيم » فى القاهرة فى حرية تامة ما كان يمكن ان تتاح له فى كنف والديه وتحت ضغطهما المستمر الذى كان سيحول حتما دون ارتياده المسارح والانغماس فى الحياة التى يريدها .. على ان هذه الحرية كان من الممكن أن تفسد عليه حياته الدراسية .. لكن توازن « الحكيم » الغريزى الذى ورثه عن والده لم يجعل هوايته تطغى على دروسه المدرسية . وقد اخذ « الحكيم » يمارس الكتابة للمسرح حتى استطاع ان يقدم له اول مسرحية وهى التى اسماها (الضيف الثقيل) .. وقد كتب هذه المسرحية فيما يبدو فى أواخر سنة ١٩١٩ وكانت من وحى الاحتلال البريطانى وكانت ترمز الى اقامة ذلك الضيف الثقيل فى بلادنا بدون دعوة منا وبدون رغبة فى الانصراف عنا .. ويحدثنا « الحكيم » عن مرحلة التأليف المسرحى فيقرر أنه لم يبدأ الكتابة للمسرح على نحو جاد الا بعد سفره الى أوربا والارتشاف من منابع الثقافة الحقيقية والتكوين الحقيقى لبنيته الفكرية .. وقد أراد الحكيم ان يسير فى الطريق الصعب الذى يتعذر معه النجاح وهو الذى يسير فيه « ابسن » و « وبيراند للو » و « برنارد شو » .. فهؤلاء الكتاب قد وجدوا العسر كل العسر فى الظفر بجمهور واسع وقتئذ .. ذلك لأنهم قد نبذوا وسائل التصفيق المعتادة ليشقوا طرقا جديدة .. وكان المسرح المصرى فى تلك الفترة يخضع لتيارين اثنين : التيار الاضحاكى والتيار الابكائى .. وكان لابد اذن من تيار ثالث هو التيار الثقافى .. لذلك انشئت الفرقة القومية عام ١٩٣٥ واسندت ادارتها الى الشاعر خليل مطران « وعهد بمسئولياتها الى المخرج زكى طليمات بعد عودته من بعثته فى باريس .. فافتتحت بمسرحية « اهل الكهف » ثم أعقب ذلك تاجر البندقية » ترجمة خليل مطران و « أنتيجون » ترجمة الدكتور طه حسين و « الملك لير » ترجمة ابراهيم رمزى .. لكن هذه المسرحيات سرعان ماهوجمت بحجة مستواها الثقافى الرفيع .. وقد كان بالفعل ظهور مثل هذه المسرحيات دفعة واحدة وعلى مسرح كبير وفى ذلك الاطار الفنى الجاد الجاف شيئا قد هز الناس وصدمهم .

لقد اتيحت الفرصة لتوفيق الحكيم كى يحقق ذاته ويثبت وجوده الانسانى فى مجال الخلق الفنى وهو الآن بعد ان بلغ شوطا كبيرا فى هذا المجال يتساءل :

هل كان من الممكن ان يكون افضل مما هو عليه ؟

انه لا يدرى .. تلك هى اجابته .. فكل الذى يدريه انه سيموت وهو يتساءل :

لماذا لم يكن افضل مما كان ؟

من هذا التساؤل الأخير يمكن أن ندرك أن الحكيم لم يداخله شعور الارتياح ازاء ما حقق من أعمال فى مجال الأدب .. فهو ما يزال يشعر بالقلق لأنه لم يحقق كل ما كان يطمح اليه .. وهذا أمر طبيعى .. فالكلمة الأخيرة فى الفن ، لن تقال وانما سيبقى الخلق الفنى مستمرا ابدا الآبدين . وبعد فالحكيم يخاطبنا من خلال سجن العمر بلهجة مؤسية حزينة ذلك لأنه قد عانى كثيرا وتألم كثيرا .. لكنه يعود فيلتمس لنفسه العزاء والسلوان .. فكل الذى بذله وكل الذى دفعه انما يهون فى سبيل الفن .. ذلك لأنه يجد فى رحابه كل ثراء واكتفاء .. ولهذا فهو يقول : « اننى اشعر نحو الفن بحب منذ فجر الطفولة .. ان كل انسان يولد وهو محب للفن فى صورة من صوره .. فالانسان انسان لأنه يحب أن يتأمل ذاته ويعجب بها أو يضحك منها او يفكر فيها .. ان الفن هو اداة الانسانية لتأمل ملامحها ومعرفة نفسها وهذا ما دفعها الى التفكير والتطور .. ولو أن الحيوان تأمل ذاته وعرفها وحللها لانقلب انسانا فى التو واللحظة » .

سعد عبد العزيز

حول مقال عبد الله بن الزبير

بقلم : الدكتور علي حسني الخربوطلي

نشر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن مقالا فى العدد ١٦ من مجلة الكاتب العربى ناقدا كتابى عن (عبد الله بن الزبير) الذى صدر فى سلسلة اعلام العرب (العدد ٤٣) وقد شغل المقال اكثر من ثمان صفحات واستطيع ان اقسم هذا المقال من الناحية الموضوعية الى ثلاث موضوعات :

اولا : قام الأستاذ عبد الغنى بعرض لفصول الكتاب ، واعتمد فى عرضه على عبارات المؤلف وافكاره ، ولذا لم يأت بجديد ، بل استفاد من الكتاب فى بعث الحياة فى مقالة وزيادة عدد صفحاته وسطوره حتى يبدو المقال طويلا ومجزيا .

ثانيا : ساق الناقد فى مقاله عبارات المديح والثناء للمؤلف فكان مما قال :

١ ــ ولقد عرض لنا المؤلف حياة عبد الله بن الزبير عرضا تتجلى فيه روائع سيرة هذا البطل على أشدها .

٢ ــ نذكر للدكتور الخربوطلى انه لا يدع مصدرا أن يفيد منه ..

٣ ــ سعدت بقراءة بضعة عشر كتابا من مؤلفاته ..

٤ ــ نشيد بفضله فى ذكر مصدر الفرد وحده بذكر حادثة لابن الزبير ..

٥ ــ وأود أن أؤكد لك يا قارئى الكريم انك لا تكاد تقلب صفحة من صفحات هذا الكتاب الا ووقعت عيناك على فائدة أو عبرة من عبر التاريخ ، أو موقف من المواقف التى يحمد فيها الرجال ، أو ناحية جميلة من نواحى المترجم له ، أو من نواحى غيره ، فلا يكتفى المؤلف بذكر هذا الموقف ، بل يشير اليه ويشيد به .

٦ ــ ومن حسن الحظ أن الدكتور الخربوطلى يحسن قراءة الكتب التاريخية القديمة ، بما فيها من علو طبقة البيان العربى أحيانا ، وبما فى بعضها من التواء الأساليب ..

وقد رأيت أن أذكر هذه العبارات لأنها ستكون وسيلتى فى الرد على السيد الناقد . وانى أشكر لسيادته هذه الكلمات الطيبة ، ولكنى ارى أن الناقد لم يهتم ــ رغم ذلك ــ بابراز المجهود الضخم الذى بذله المؤلف فى كتابه ، ولم يتحدث عن المصادر العديدة التى استمد المؤلف منها الحقائق التاريخية ، والمخطوطات القديمة التى توصل المؤلف اليها مثل كتاب (الاعلام بالحروب الواقعة فى صدر الاسلام) للبياس و (قيد الشديد من اخبار يزيد) لابن طولون ، وغيرها .

ثالثا : عاب الناقد على المؤلف بعض أمور من اليسير الرد عليها ، بل لقد كفانا السيد الناقد مئونة الرد عليها ، فقد ساق عبارات فى مقاله فرد بها على نقده .

أ ـ يرى السيد الناقد انه كان على المؤلف الرجوع الى كتاب (الاستيعاب) لابن عبد البر وكتاب (تهذيب الأسماء واللغات) للنووى و (سيرة اعلام النبلاء) للذهبى . ولو رجع الناقد الى الكتاب لوجد فى قائمة المصادر ١٣٨ كتابا تشمل جميع المصادر الكبرى القديمة والحديثة، باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، . وقد اعتمد المؤلف عليها جميعا وذكرها فى حواشى الكتاب . كما اعتمد المؤلف على كثير من المخطوطات ، واعداد المجلة الأسيوية باللغة الفرنسية الصادرة فى سنة ١٨٣٢ . بينما لم يزد عدد مصادر كتاب الناقد الصادر فى سلسلة أعلام العرب بعنوان (عبد الله فكرى) عن ٤٦ مصدرا ، ولم يهتم سيادته بذكر مصادره فى حواشى كتابه وهو ما تحتمه الدراسة العلمية المنهجية . كما ان السيد الناقد يذكر فى مقاله فى آخر صفحة ١٧ ان كتب الطبرى وابن الأثير هما ابرز اصول التاريخ العربى الاسلامى ، وهذه الأصول يتضاءل امامهما كتب (الاستيعاب) و (تهذيب الأسماء واللغات) التى تعتمد على الروايات والأساطير . كما أن هذه المصادر التى اشار الناقد اليها قد نقلت عن المصادر القديمة الأصلية مثل كتب الطبرى وابن الأثير أو كتب اليعقوبى والمسعودى وغيرهم ، مما يحتم الاعتماد على هذه المصادر الأصلية .

والأستاذ الناقد يناقض نفسه ، فهو يقول عن المؤلف فى مكان آخر من مقاله (انه لا يدع مصدرا أن يفيد منه) كما يعترف الناقد ان المؤلف كثير القراءة وانه يجيد قراءة الكتب القديمة . فهل كان المؤلف يعجز عن قراءة (الاستيعاب) و (تهذيب الأسماء) ؟!

٢ ـ ذهب الناقد الى ان المؤلف كرر عبارة واحدة تتألف من سطر ونصف سطر فى صفحتين من صفحات الكتاب . واحمد الله ان السيد الناقد قد اهتم بنشر هذه العبارة كما جاءت فى الصفحتين . فقد وجد قراء مجلة الكتاب العربى أنفسهم امام عبارتين مختلفتين تماما فى اللفظ، وان اتفقتا فى المعنى . وقد كان من المحتم على المؤلف أن يعيد معانى هذه العبارة فى الفاظ جديدة، ، لأن المؤلف اتبع فى تأليف كتابه المنهج الموضوعى ولم يقسم فصول كتابه تقسيما زمنيا . ولذا كان لابد من ذكر هذه العبارة مرة أخرى للربط بين المواضيع المختلفة ، وقد ذكرها المؤلف فى مقدمة احد الفصول ليربط بينه وبين الفصل السابق له .

واريد أن أسأل السيد الناقد : هل من الخطورة بمكان أن يعيد مؤلف احدى عباراته بألفاظ اخرى وقد شعر بحاجته الى تكرارها ؟ أم ان الناقد لم يجد فى الكتاب من الهنات سوى هذه الأمور اليسيرة ليشغل بها قراء مجلة الكتاب العربى ؟ أم هى دعاية كما وصفها الناقد فى محادثة تليفونية مع المؤلف يوم ظهور المقال ؟

٣ ـ يقول السيد الناقد (أغفل الدكتور الخربوطلى الاشارة الى وعد ابن الزبير للمختار الثقفى بتحقيق اطماعه) . ويبدو أن سيادته لم يقرأ الكتاب جميعه . اذ بالكتاب فصل طويل ، وهو الفصل الثامن (ص ١٥٣ ـ ص ١٩١) وقد تحدثت بالتفصيل عن موقف حزب المختار من ابن الزبير . كما يبدو أن السيد الناقد لا يتابع سلسلة اعلام العرب ، فقد نشرت لى هذه السلسلة كتابا ضخما يتألف من ٣٦٥ صفحة بعنوان (المختار الثقفى) فى ابريل ١٩٦٣ . وقد تعمدت الا اكرر ما ذكرته فى هذا الكتاب فى كتابى عن (عبد الله بن الزبير) .

٤ ـ اهتم الأستاذ الناقد بتعداد واحصاء الأخطاء النحوية ، فأحصى عدة اخطاء لغوية .

وكنت أرجو أن ينسى الناقد وهو يقرأ كتاباً فى التاريخ انه اديب كبير ولغوى عظيم ، وان يحاول الاستمتاع بهذه الدراسة التاريخية الجديدة ، وأن يبحث عن الجوهر ولا يهتم بالشكل . وكنت افضل أن يهتم الناقد بنقد منهج البحث أو مناقشة الحقائق التاريخية بدلا من أن يتلمس زلات الآخرين ، ويشوه مجهودهم .

وانى اطمئن السيد الناقد انى لست مسئولا عن هذه الأخطاء النحوية . بل ان هذه الأخطاء القليلة - بالنسبة لصفحات الكتاب التى بلغت ٢٨٧ صفحة - نتيجة تعدد المصححين ، فقد قام بمراجعة الكتاب مصححون فى الدار الناشرة للكتاب ، كما قام بمراجعتها مصححون آخرون فى المطبعة ، وتفاوتت قدراتهم ودرجات علمهم .

والسيد الناقد يناقض نفسه ايضا فهو لا يقول عن المؤلف فى صفحة ٢٣ انه (يحسن قراءة الكتب التاريخية القديمة ، بما فيها من علو طبقة البيان العربى) كما يقول الناقد عن المؤلف أيضا (استقام له الأسلوب الواضح المعبر) .

وانى اعد السيد الناقد أن أعرض كتبى القادمة عليه قبل ارسالها الى المطبعة ليقوم بتصحيح الاخطاء النحوية - ان وجدت - حتى اوفر على مجلة (الكتاب العربى) استنفاذ صفحات كثيرة فى نشر مقال آخر للناقد عن كتاب قادم وبه احصائية اخرى بالأخطاء النحوية ، فى وقت ارتفع فيه ثمن الورق ، وحتى أكون عند حسن ظن الأستاذ الناقد بى ، ولا اتعرض لدعابة اخرى من دعاباته ، اذ هو يصور المقال بانه دعابة .

وختاما اريد ان اهمس فى اذنى الصديق الكريم والشاعر الكبير أن يقتصر فى نقده على كتب اللغة والأدب ويدع نقد كتب التاريخ للمؤرخين المتخصصين واساتذة التاريخ بالجامعات .

دكتور علي حسني الخربوطلي

أخبار الكتاب العربي في العالم

● صدر اخيرا الجزء السادس من مجموعة « **البحوث والمحاضرات** » التى بدأ « **مجمع اللغة العربية** » بالقاهرة فى اصدارها منذ عام ١٩٦٠ لتضم البحوث والمحاضرات التى تلقى فى مؤتمراته السنوية ، وليضيف بهذا وشيجة من وشائج الصلة بينه وبين رجال اللغة والأدب ، فتتفتح من وراء ذلك ابواب البحوث ودراسات تفيد منها لغتنا فى نموها المطرد ونهضتها الشاملة .

وهذه الأجزاء الستة تصور ما يدور فى كل مؤتمر يعقد ، وتسجل ما يلقى فيه أو يقدم اليه من البحوث ، وهى الى جانب ما ينهض به المجمع من وضع مصطلحات ، تكمل الصورة الشاملة لجهود هذا المجمع الموقر منذ انشائه .

وقد ضم الجزء الأخير حديثا عن **المصطلح العلمى** فى وضعه ، وتخير اللفظ الملائم له ، ومدى الأخذ فيه بالتعريب . وتوجيه النظر الى البعد عن الألفاظ الغريبة والثقيلة النطق ، وأن نتحرى فى مستحدثات الحضارة خاصة الاستعمال الشائع فى البلاد العربية عامة ، وانه لا مناص من التعريب ، وبخاصة فى تلك المصطلحات التى اضحت شبه عالمية أو التى استمدت من أصول يونانية او لاتينية ، وانه يحسن التزام الأصل المنقول عنه ، وفى النحت والتركيب المزجى ما قد يخرج بالكلمة عن صورتها الحقيقية ، فتصبح لا هى بالعربية ولا هى بالافرنجية ، ومن الخير ضبط المصطلح المعرب أسوة بضبط الاعلام الأجنبية .

وقد حفل مؤتمر الدورة الثلاثين التى عقدها المجمع لعام ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ بطائفة من البحوث والدراسات للأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع ، جديرة بأن يتدارسها العلماء ، وأن يفيد منها أبناء العروبة .

وانتهى المجمع فى هذا المؤتمر الى مبدأين هامين بشأن **كتابة الأعلام الأجنبية** التى عنى بها فى مؤتمراته السابقة . **وأول** هذين المبدأين : ان يكتب العلم الأجنبى كما ينطق فى لغته الأصلية ، اللهم الا ان اشتهر بنطق عربى خاص ؛ **وثانى** المبدأين : ان الحروف العربية كافية لأداء الأصوات الأجنبية ، ولا يضاف اليها الا حرفان ، هما : پ لأداء P ، ف لأداء V .

● أشرت فى العدد الرابع عشر من هذه المجلة الى قيام « الدار المصرية للتأليف والترجمة » بنشر كتاب « **مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى** » الذى اختصر فيه الامام اللغوى جمال الدين محمد بن المكرم المعروف بابن منظور الافريقى المصرى كتاب « الأغانى » لأبى الفرج الأصفهانى .

يقدمه مدير التحرير

ونضيف هنا أن « **معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية** » قد تعاون على نشر هذا الكتاب بمكافأة محققيه ، وعهد الى هذه الدار امر اخراجه فى سلسلة « تراثنا » .

وليس هذا اول جهد ـ فى هذا الباب ـ يقوم به « معهد المخطوطات » فى نشر التراث العربى ، فقد نهض منذ سنوات بنشر كتاب « **انساب الأشراف** » للمؤرخ والجغرافى احمد بن يحيى البلاذرى ، صاحب كتاب « فتوح البلدان » ، والمتوفى سنة ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م) وقد ظهر الجزء الأول منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ويعد هذا الكتاب من اهم مصادر التاريخ العربى فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، ويحفظ نصوصا انفرد بها ؛ وكتاب « **سير أعلام النبلاء** » للمؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٨ م) ويعد هذا الكتاب مرجعا من المراجع الوثيقة التى يحتاج اليها المؤرخون والأدباء والشعراء والمشتغلون بالطبقات والسير والأنساب ، وظهر منه ثلاثة أجزاء حقق **الأول** الدكتور صلاح الدين المنجد **والثانى** الأستاذ ابراهيم الابيارى **والثالث** الدكتور محمد اسعد طلس ، ونشرت الكتابين « دار المعارف » ونأمل أن ينهض المعهد بنشر باقى **اجزائهما** .

كما نشر ثلاثة أجزاء من معجم « **المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة** » الذى ألفه الامام اللغوى على بن اسماعيل بن سيده صاحب « المخصص » والمتوفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) وقد ظهر منه ثلاثة اجزاء ، **الأول** حققه الاستاذ مصطفى السقا والدكتور حسين نصار ، **والثانى** حققه الأستاذ عبد الستار احمد فراج ، **والثالث** حققته الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » ونشرته مكتبة مصطفى البابى الحلبى . وينتظر العالم اتمام هذا العمل الجليل .

هذا الى جانب الرسالة الثقافية الجليلة التى يقوم بها « معهد المخطوطات » منذ انشائه سنة ١٩٤٦ فى جمع شتات التراث العربى وتصويره من شتى أنحاء العالم وتيسيره على الباحثين والمحققين ، وذلك بايفاد بعوث من المتخصصين الى كثير من بلاد العالم كالهند وايران وتركيا والمانيا واسبانيا وانجلترا واليمن والسعودية وشمال افريقية غير ما صوره من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين حتى اجتمع له حوالى عشرين الف كتاب ورسالة ، وقام باعداد الفهارس التفصيلية لها . وقد اشرنا فى العدد السابق الى صدور المجلد التاسع من المجلة التى يصدرها هذا المعهد .

● اتمت « دار المعارف » نشر **الموسوعة** التى الفها الأستاذ نجيب العقيقى باسم «**المستشرقون**» فى ثلاثة أجزاء ، وننتهز هذه الفرصة فنشير الى أن الجزء الثالث قد ضم ٢٣٨ صفحة للفهارس العامة تبدأ من صفحة ١١٧٧ وتنتهى بصفحة ١٤١٤ ، وان عدد الذين ترجم لهم من المستشرقين فى هذه الموسوعة حوالى ٢٠٦٠ من اعلام الاستشراق ، وعدد فروع المعرفة التى اشتغلوا بها عشرون فرعا هى : علوم الاسلام ، التشريع ، الأديان ، الفلسفة ، اللغة ، المعاجم ، الأدب ، التاريخ ، الجغرافيا ، الفلك ، الكيمياء ، الرياضة ، الطبيعة ، الطب ، الزراعة ، الخطوط ، المخطوطات ، الفنون ، الآثار ، اللغات السامية .

وقد ذكر المؤلف تحت كل فرع من هذه الفروع فى هذا الفهرس اسماء المشتغلين بها علاوة على

الفهرس العام . ثم خصص قسما من الفهرس ببيان الكتب والدراسات التى نشرها هؤلاء العلماء فبلغ عددها قرابة ٥٣٠٠ .

ومثل هذه الفهارس ضرورة بل واجب علمى على كل مؤلف أن يلحق كتبه بها ، لأن هـذه الفهارس تيسر على الباحثين سبيلهم وتهديهم فى أيسر وقت الى ضالتهم . وهى عمل يستحق التقدير الذى يناله الكتاب نفسه لأنه جهد مضن كجهد التأليف نفسه .

● يقوم الآن العالم التركى الدكتور محمـد فؤاد سزكين الأستاذ بجامعة فرانكفورت باعادة النظر فى كتاب « **تاريخ الأدب العـربى** » الذى صنفه الدكتور المستشرق الألمانى الدكتور كارل بروكلمان ، ويقوم الدكتور فؤاد بمراجعة ما أشار اليه بروكلمان على المخطوطات نفسها فلا يكتفى بذكر ارقامها فى فهارس المكتبات بل يذكر عـدد صفحاتها بعد الاطـلاع عليها ـ وهو ما فات بروكلمان ذكره ـ ثم يضيف اليها ما يكون قد اكتشف من مخطوطات جديدة للمؤلفات الواردة عند بروكلمان .

وقد استطاع الأستاذ فؤاد سزكين أن يذكر مئات من المؤلفين ممن لم يذكرهم بروكلمان فى كتابه . وقد أشار سزكين الى مؤلفاتهم التى عثر على مخطوطات منها وبيان اماكنها وارقامها وعدد أوراقها وتاريخ نسخها .

وهو يضيف الى كل ذلك الاشارة الى ما تم طبعه من هذه الآثار . وسيطبع هـذا الكتاب بالألمانية . والذى نأمله أن تعمل الهيئات الثقافية فى البلاد العربية على ترجمة الكتاب الجديد الى العربية ، بعد أن قامت « الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية » بترجمة ثلاثة أجزاء من كتاب بروكلمان ثم توقف الأمر بوفاة المترجم المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار .

هذا ، وكان الدكتور محمد فؤاد سزكين قد حقق منذ سنوات كتاب « **مجاز القرآن** » الذى الفه أبو عبيدة معمر أبو المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ فى مجلدين كبيرين ظهر الأول منهما سنة ١٩٥٤ والثانى ١٩٦٢ بعد أن عارضه بأصوله وعلق عليه.

● صدرت فى بيروت عن «دار العلم للملايين» الطبعة الثانية من ديوان « **أحلام الراعى** » للشاعر العربى المهجرى الكبير الأستاذ الياس فرحات ، وكانت طبعته الأولى قد ظهـرت فى سان باولو بالبرازيل عام ١٩٥٣ .

ويطبـع له الآن فى بيروت ديـوان « **فواكه رجعية** » وهو شعر غزلى قديم ، وقد اطلق عليه هذا الاسم اشارة الى فوات أوان هـذا الشعر الغزلى . وكتب الأستاذ وديع فلسطين مقدمة لهذا الديوان .

وستقوم وزارة الثقافة والارشاد القومى فى دمشق بطبع كتاب جديد له عنـوانه « **قال الراوى** » .

والشاعر فرحات كتب اخـرى مخطـوطة سيقـدمها للنشر هى : ديوان « **موشـحات مهجرية** » ، وديوان « **طليعة الشتاء** » و « **رحلة صيد** » ثم كتاب يتناول ذكرياته فى المهجر .

وقد صدر له فى العام الماضى فى لبنان كتاب « **عودة الغائب** » وهو تسـجيل لمشاهداته وخواطره عند عودته الى الوطن بعد غيبة بلغت نصف قرن . وكان قد زار مصر خلال هـذه العودة فى سنة ١٩٦١ واحتفلت به الأوسـاط الأدبية فيها .

وقد نشر فرحات ديوانه المسمى باسـمه سنة ١٩٣٢ ثم نشر « **الرباعيات** » سنة ١٩٢٥ فى سان باولو وأعيد طبعها سنة ١٩٥٤ ، وثلاثة دواوين أخرى هى : « **الربيـع** » و « **الصيف** » و « **الخريف** » وقد ظهرت سنة ١٩٥٤ .

● أتم الأستاذ عبد العليم الطحاوى تحقيق كتاب طريف فى موضوعه وطريف فى بابه هو كتاب « **الملمع** » الذى صنفه عالم من علماء البصرة فى الادب والشعر كان يعيش فيها فى الثلث الأخير من القرن الرابع الهجرى هو ابو عبد الله الحسين ابن على النمرى ، تناول فيه الالوان فذكر أن الله قسم الالوان الى خمسة : البياض والسـواد

والحمرة والصفرة والخضرة ، فجعل منها اربعة فى بنى آدم ، هى الأربعة الأولى ، فخص العرب والحبشة والزنج بالسواد ، وخص الفرس والروم والنبط بالبياض والحمرة والصفرة ، ويستشهد المؤلف على ذلك بما ورد فى ذلك من الشعر . وللمؤلف كتب أخرى منها : « أسماء الفضة والذهب » ويسمى « كتاب الحلى » ، و « معانى الحماسة » .

وقد نشرت وزارة الثقافة (الادارة العامة للثقافة) منذ سنوات كتاب « **الفاخر** » فى الأمثال للمفضل بن سلمة الذى حققه الأستاذ الطحاوى فى سلسلة « تراثنا » .

● نشر الأستاذ مصطفى حجازى كتاب « **تاريخ اليمن** » المسمى « **بهجة الزمن فى تاريخ اليمن** » تأليف تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى المتوفى سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٣ م) ونقله عن النويرى صاحب كتاب « نهاية الأرب » . وقد عرض فيه تاريخ اليمن ، والدول التى قامت فيه ، والأسرات التى حكمته ، ويصور هذا الكتاب فى هذا العرض التاريخى المأساة التى عاشها اليمن عبر الأجيال ، وتتجلى هذه المأساة فى الصراع العنيد بين اليمنيين انفسهم تارة وبينهم وبين من وفد عليهم — كما يقول الأستاذ ابراهيم الحضرانى فى تقديمه للكتاب . ويقول انه اذا كانت أحداث هذا التاريخ قد وقفت عند الربع الأول من القرن الثامن الهجرى ، فان ماتلاها بعد ذلك من أحداث الى يومنا هذا انما هو امتداد لها .

وقد قام الأستاذ مصطفى حجازى بتحقيق كتاب « **المنازل والديار** » لأسامة بن منقذ الذى اشرنا فى العدد السادس عشر من المجلة الى قيام المستشرق الروسى انس خالدروف بنشر نصه مصورا بخط ناسخه . وقدمه الأستاذ حجازى الى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية لنشره .

● وأتم الأستاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب بالقاهرة والدكتور حامد عبد المجيد المراقب بوزارة الثقافة تحقيق كتاب « **المشكل من شعر أبى الطيب المتنبى** » لابن سيده ، وهو يعرض لجميع المشكلات فى جميع قصائد المتنبى فيشرحها شرحا وافيا . وقد أتما تحقيقه على عشر مخطوطات وقدماه للمجلس الأعلى للفنون والآداب لنشره فى « المكتبة العربية » .

● جمع الأستاذ أحمد هيكل المحامى مجموعة من مقالات والده المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، ثم أخرجها فى كتابين : أحدهما عنوانه « **الشرق الجديد** » ، يتناول فيها الدكتور هيكل ما كان بين الشرق والغرب من صلات تعددت وتنوعت خلال القرون ، وازدهرت حينا ، وتضاءلت حينا آخر . وهو يعرض لهذه الصلات خلال العصور ابتداء من العصور الوسطى حتى العصر الحديث .

والآخر عنوانه « **الايمان والمعرفة والفلسفة** » . وقد أثار الدكتور هيكل فى مقالات هذا الكتاب الجدل التقليدى بين الدين والعلم والفلسفة ، وأوضح أن المعرفة هى أساس ايمان المستقبل ، ودرس أفكار القدرية والجبرية ، وتحسس مزالق الخطأ التى ادت الى أن يستعر هذا الصراع بين فكرتى الجبر والاختيار فى التفكير الاسلامى .

وقد نشرت « مكتبة النهضة » هذين الكتابين الى جانب ما نشرته من آثار المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل .

● كما نشرت هذه المكتبة أيضا كتابا الفه الأستاذان الدكتور عبد العزيز رفاعى وعبد العال ابراهيم عنوانه « **دراسات فى الشرق الأوسط** » تناولا فيه أهم المسائل التى شغلت وما زالت تشغل اذهان الشعوب التى تعيش فى منطقة الشرق الأوسط ، وأثرت وما زالت تؤثر فى تطورها ومصيرها .

ويولى المؤلفان فكرة القومية العربية ، وثورة ٢٣ يولية ، واليمن والجنوب العربى ، والصهيونية وفلسطين ، وسياسة الأحلاف والحياد الايجابى ، وقناة السويس — اهتماما خاصا فى هذا الكتاب .

● نشرت « دار الكتب الحديثة » كتابا قام بتأليفه الدكتور على حسن عبد القادر عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية ، هو كتاب « **نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى** » . وقد عرض فيه

الى تاريخ هذا الفقه منذ الدور التمهيدى الذى يشمل حياة الرسول وخلفائه الراشدين ، ثم الدور التأسيسى فى عهد بنى أمية ، ثم النهضة الفقهية ابان الخلافة العباسية .

● من الرسائل التى يجب أن تذاع بشتى وسائل الاعلام والنشر : ((**رسالة المعاش والمعاد**)) أو ((الأخلاق المحمودة والمذمومة)) التى كتب بها الجاحظ الى ابى الوليد محمد بن احمد بن ابى دؤاد ، فهى رسالة تصف الطبائع التى ركب عليها الخلق ، وفطرت عليها البرايا كلهم . رسم فيها الجاحظ اصول هذه الطبائع ، وبين مع كل اصل منها علته وسببه . ثم قدم وصاياه ، ورسم منهج السلامة للنفوس البشرية فى كل سبيل .

وهذه الرسالة كان قد نشرها سنة ١٩٤٣ الأستاذ باول كراوس والدكتور محمد طه الحاجرى مع ثلاث رسائل اخرى للجاحظ فى كتاب بعنوان ((**مجموع رسائل الجاحظ**)) نشرته ((لجنة التأليف والترجمة والنشر)) عن مجموعة خطية فى مكتبة ((داماد ابراهيم)) بتركيا .

وقد أعاد الأستاذ عبد السلام هارون نشر هذه الرسالة أخيرا فى كتاب ((**رسائل الجاحظ**)) الذى نشرته ((مكتبة الخانجى)) فى جزءين ضما سبع عشرة رسالة تحتويها مجموعة مكتبة داماد . وقد قام بتحقيقها وتخريج أشعارها والمترجمة للأعلام الواردة فيها .

● من أمتع الكتب التربوية التى ظهرت أخيرا كتاب عنوانه ((**لماذا نعلم ؟**)) نشرته مكتبة ((عالم الكتب)) بالقاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . وهو كتاب قامت بتحريره لويز شارب عميدة كلية البنات فى متشيجان وأستاذة علم النفس والتربية بها ، وقد رأى الأستاذ حسن جلال العروسى أن هذا الكتاب المفيد من نواح عدة ، فهو الى جانب تحبيب القارىء فى مهنة التعليم ويفتح باب الأمل أمام المعلمين ، فيه توجيه قيم للعاملين فى هذه المهنة الكريمة الجليلة — جدير بأن يضاف الى طبعته الأمريكية المترجمة — والتى تضم مختارات من احسن ما كتب عن المعلم ورسالته بأقلام شخصيات بارزة لأن هذه المختارات قد لا تحمل كثير معنى للقارىء العربى لعدم معرفته كل اصحاب هذه الأسماء — قسم من اللون المحلى ، فاستكتب طائفة من علمائنا العرب عن كبار المعلمين فى الشرق والغرب ممن كان لهم دور فى تطور التربية ، وممن كانت لهم مدارس فى التربية والتعليم ، من هؤلاء سقراط المربى ، وتوماس جيفرسون معلم الثورة الأمريكية ، وعلى مبارك ، ورفاعة الطهطاوى ، والامام محمد عبده ، ومحمد شفيق غربال ، واسماعيل القبانى ، وغاندى ، وجون ديوى ، ووليم جيمس ، وقد كتب هذا القسم الجديد الدكتور زكى نجيب محمود والأستاذان محمد خيرى حربى وعبد العزيز أحمد سلامة والدكتور محمد على العريان — الذى قام بترجمة الأصل والتقديم له — والدكاترة محمد الهادى عفيفى وأحمد عزت عبد الكريم وصلاح الدين قطب .

وكانت فكرة صائبة من الأستاذ حسن جلال العروسى اذ بعث فى هذا الكتاب روحا قويا ، وبعث أمجادا لمعلمين عظماء كان يجب علينا أن نخلد ذكراهم ، ونتذكر فى كل آن أعمالهم .

حسن كامل الصيرفى

كتاب

الأنيس بعلم الأنساب

حَبْشِيَة :

فى خُزاعة : حَبْشِيَة ، مفتوح الحاء مُسَكّن الباء مكسور الشين مُخفَّف الياء[1].

وقد قال آخرون : إنه حَبَشِيَّة ، مُشَدَّدًا مُحَرّكاً ، والأوّل أثبتها ، وهو الصحيح .

والحبشية[2] عند أبى بكر بن دُرَيد : النَّملة الكَبِيرة . وهو حَبْشِيَة بن سَلُول ابن كَعْب بن عَمرو بن عامر [3] بن لُحَىّ[4] واسم لُحَىّ : ربيعَة بن حارثة بن عمرو مُزَيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القَيْس (بن ثَعلبة) بن مازن بن (الأَزْد)[5] .

فمن بُطون حَبْشِيَة : بنو قُمير بن حَبْشِية ، منهم قَبِيصَة بن ذؤيب بن حَلْحَلة بن عَمرو بن كُلَيب بن أَصْرم بن عبد الله بن قُمَير[6] ، كان على خاتَم

---

(١) فى المختلف (ص ٤) : « بفتح الحاء والباء » وضبط فيـــه بتشديد الياء وضبط فى الجمهرة (ص : ٢٣٦ و ٢٣٧) بالقلم بضم الحاء وسكون الباء وكسر الشين وتشديد اليـاء . وفى هامش م : « حاشية بخط ابن المغربى : وقد قال آخرون : انه حبشية ، مشددا محـركا ، والأول اثبتها . كذا هو بخط ابن حبيب ، قلت انا : وقد صحح عليه » .

(٢) الاشتقاق (ص : ٤٦٨) مضبوطة بالضم بالقلم . وضبطها الفيروزابادى فى القـــاموس « حبش » بالعبارة فقال : « بالضم » . وهذا الضبط الأخير المنسوب الى ابن دريد يرد ماسبق، وقد ذكر ابن حبيب « حبشية » آخر بهــذا الضبط : أعنى بضم الحاء وســكون البــاء وتشديد الياء ورفعه الى مزينة .

(٣) التكملة من الجمهرة (ص : ٢٣٦) .

(٤) ســـياق النسب كمـا فى المختلف (ص : ٤) : «حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ابن ربيعـــة بن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء » . وهو ما يتفق مع ما ساقه المؤلف بعد هذا من الكلام على اسم « لحى » . وفرق بين هذين السياقين وسياق الجمهرة ، ففى الجمهرة يرفع « لحى » الى قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والسياقان هنا ، أعنى سياق المؤلف وسياق ابن حبيب يرفعانه الى الأزد .

(٥) التكملة من ت .

(٦) فى هامش ت : « قال ابن حبـــان فى الثقات : قبيصة بن ذؤيب ، مولده عام الفتح مات بالشـــام سنة ... قال : وقد قيل انه قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة . وذكره ابن سعد فى الطبقات فقال : سمع عثمان وكان ثقة وكان مأمونا ، كتب الحديث له ولأبيه صخر وتوفى .. أو سبع ومائة » .

عبد الملك بن مَروان ، وكان كالوزير له ، وشديدَ الخُصوص به ، وكان يُكنى أبا إسحاق .

ومات فى أيّام عبد الملك. وقد أنكر بعض أهل السِّير ذلك وقالو: إنه خَدَم الوليد أيضاً ، وقَبِيصة كان قد بلغ من لطافة مَحَله عند عبدالملك أنه كان يَفُض الكُتُب ويقرؤها قبل وقوف عبد الملك عليها . وكان مروان قد عَهد إلى ابْنه عبد العزيز بعد عبد الملك ، فلما تمكَّن عبدُ الملك همّ بخلعه والعَقد لابْنَيه الوليد وسُليمان . فنهاه عن ذلك قبيصَةُ وقال: لعل الموت يأتى عليه فتَستريح منه[1] . (وفى جمادى الأُولى سنة خمس وثمانين أتى كتاب إلى عبد الملك من مصر) بمَوْته[2] ، ففضّه قبيصةُ وقرأه ودَخل إلى عبد الملك فعزاه بأخيه عبد العزيز فولّى (عبدُ الملك)[3] ابنه عبدَ اللهبن عبد الملك مِصْرَ ، وعقد لابنَيْه . الوليدِ وسُليمانَ العهدَ .

ومن بطون حَبْشية . ضاطِرُ بن حَبْشِيَةَ ، منهم قَيس بن عمرو بن منقذ ابن عُبيد بن ضاطر ، الشاعر المعروف بقَيس بن الحُدَادية الخُزاعى . ويُنسَبُ إلى أُمه . وهى الحُدادية . من حُدَاد (بالحاء)[4] ، واسم حداد : ربيعة ابن مُعاوية بن بَداوة (بن ذُهل بن طَريف بن خلف بن مُحارب بن خَصفة)[5] ابن قَيس عيلان .

وقد قيل : إن أُمه من حُدَاد (بالحاء)[5] بن مالك بن كنانة . والأَول أَثْبت عند ابن حبيب ، ومن قول قَيس هذا :

وما زلْتُ تحت السِّتْر حتى كأَننى من الظِّل ذو طِمْرَيْن فى البَحر شارعُ

(١) بياض بالأصلين : استكملناه استئناسا بما فى الكامل لابن الأثير (٢ : ١١ — ١٥) .
(٢) أى بموت عبد العزيز وكان واليا على مصر .
(٣) التكملة من م .
(٤) تكملة من م . وقد ضبطه ابن حبيب بفتح الحاء وكسرها .
(٥) التكملة من م . وانظر المختلف (ص ٢٥) .

وإنى لأُعْصِى الطَّرْفَ عنها تحمُّلاً وقلبى إلى أسماءَ عَطشانُ جائع
تقول وعيناها تَفيضـان عَبرةً « الأَبيات المعروفة » .

ومن قوله :

فأَطْيِبْ بهـا لمن تكون ضَجيعَه إذا ما الثريّا ذَبْذبت كُلَّ كوكبِ
مُتبّـلة هَيفـاء تُؤتيك شيمـةً على حَصَـرٍ فى صـدرها وتهيُّب

ومن قوله :

وإنّ ضَعيف الرَّأى مَن هاج شوقه خِيـامٌ على مُرّان بادٍ ثُمـامُها
مررتُ بقَلْت والبحـورُ كأَنها قلادة جَـزْع سُلَّ منهـا نِظامُها
إذا سُمتُها التَّقبيلَ صَدَّت وأَعْرضت صُدود شَمُوس الخَيـل ضلّ لجامُها
وعَضّت على إبهامها ثم واءَلَت (١) حِذارَ البُيوتِ أن يَهُبّ نِيـامُها

ومن قوله :

فيومَان يومٌ فى الحـديد مُسَرْبَلاً ويومٌ مع البِيض الكواعب لاهيَـا
إذا ماطوالِكِ البُعْـد يابنَـة مالك فشأْنُ المنـايا القاضِـياتِ وشانيا

وابن أخى قيس هو : الجون بن عبد العُزَّى بن مُنقذ الشاعر القائل :

فنحن خَلطنا الحَرب بالسّلْم فاستَوتْ وأَمَّ هواهُ كلُّ حـافٍ وناعِل

ومن بُطون حَبْشِية (٢) حُلَيْل بن حَبْشِية . منهم أبو غَبْشان ، وهو المُحْتَرِش بن حُلَيل ، وأُخته : حُبَّى بنت حُلَيل ، أُمّ عبد مناف بن قُصَىّ .

حدثنى إبراهيم بن على الذُّهلى ، عن ابن أَبى شَيخ القَنَوى ، عن عبد الله ابن المُعتز ، عن أحمد بن يحي بن جابر البَلاذرى ، عن عَياش ابن هشام بن محمد الكلبى ، وغيره من أشياخه .

(١) واءلت : طلبت النجاة .
(٢) ضبطه الزبيـــدى فى كتابه « ايضاح المدارك من العواتك » بضم الحاء وسكون الباء وكسر الشين وتشديد الياء .

وحدثنى الحسنُ بن عبد الصمد بن الحسين ، عن أبيه ، عن أحمد ابن إبراهيم الأُشنانى ، عن أحمد عُبيد النحوى ، عن الواقدى ، عن رجاله .

وأُخبرت أيضا عن محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة ، ومعنى الحديث كله متفق إلاّ أن ألفاظه والزيادات فى شروحه تختلف ، فقصدت عمود . . .[1] وزدْت ونَقصت ليطَّرد نَسق الحديث على غاية الاختصار .

قالوا : كان قد تزوج كِلابُ بن مُرّة فاطمة بنت سَعد بن سَيَل الأزدية، كما قد شَرحناه فى غير هذا الموضع ، فولدت له زُهْرة وزيْدا ، ومات عنها فقدم حاجٌّ من قُضاعة . فتزوج رَبيعةُ بن حَرام بن ضِنَّةَ العُذرى فاطمةَ وأراد إخراجها ، فرامت أخذ ولديها ،فمنعتْها قُريش ، فتركت زُهرةَ وأخذت زيدا لأنه كان صغيراً ، فسُمِّى زيد قصيّا لذلك ، وقد ذُكر لها شعر قالته كَتبناه فى مَوضعه ، من كتاب أشعار النساء . ثم إن ابن لجأ أجرى بين زيد وبين رجل من بنى عُذرة ، يقال له رفيع ، فقال له رفيع : الحق بقَومك فلستَ منا . فرجع إلى أمه فأخبرها وسألها ، فقالت : إنك من قوم أشرفَ حسباً وأعزَّ منزلا وأظهر فضلاً ، وقد قالت لى كاهنةٌ رأتك : إنك تَلى أمراً جليلا ، فطِبْ نفسًا ، وارتحل إلى أرض قومك حول الحَرم. ثم جَهّزته فأحسنت جهازه وأخرجته فى الشهر الحرام ، فلما وصل عَرفوه وأكرموه وأعظموه وغَلب على رياستهم وتزوَّج حُبىَّ بنت حُليل بن حَبَشية ، وكانت خُزاعة إذ ذاك غالبة على ولاية البيت بعد جُرهم ، ومات حُليل وجعل المفتاح فى يد ابنه المحترش أبى غُبشان . فيقول المتعصبون على اليمانية إن قُصيّا اشترى المفتاح وولاية البيت بناقةٍ كانت له ناجية ، وزاده زِق خَمرٍ فصيَّرها إليه ، وكان المحترش مَضْعوفاً ، وقال آخرون . بل أوصى حُليلٌ بذلك لقصىّ إكراما لبِنتِه .

(١) بياض بالأصلين .

فأما روايتنا عن الواقدىّ وابن إسحاق جميعاً : فهو أن قُصيّا رأى بعد حُليل أنه أحقُّ بالبيت وولايته لشَرف نَسبه ، فجمع لذلك رجالا من قُريش وكنانة ، وكاتَب أخاه من أُمّه رِزَاح بن ربيعة ، فأنجده رزاحٌ واقتتلوا ، فغلب قُصى على الأمر غُلبَّةً ، وقال فى ذلك ولدُ قُصَىّ :

ونَحن العاصمون بنو لؤىّ … بمكةَ مَنْصِبى وبها ربيتُ
لنا البطحاءُ قد عَلمت معدٌّ … وَمَرْوَتُها ، رضيتُ بها رَضيتُ
فلستُ لغالب إن لم تأَثَّلْ … بها أولاد قيذَة والنَّبيت
قضاعة ناصرى وبِهِمْ أُسَامى … فَلست أخافُ ضَيماً ما حَييت[١]

فأجابه رزاح ، أو قال على وزن شعره :

وإنى فى الحياة أخو قُصىّ … إذا ما مَسّه ضيم أبيْتُ
إذا يَحنى علىّ بذلت نَصرى … ويبذل مثل ذلك إن جَنيْتُ
نَفَيْنَا عن منازلها عَليًّا … فما منها بذى الأطواء بَيْتُ

يُريد : علىّ بن مسعود بن مازن الغسانى ، لأنه كان أخا كنانة لأمه ، وكفل ولده من بعده ، فنسبوا إليه[٢] .

وكان قال رزاح فى ذلك أيضاً :

أَجَبْنا قُصيًّا على نَأْيِــــه … عَلَى الجُرْدِ تَرْدى رَعِيلًا رَعِيلَا
نَهَضْنَا إليه نَقودُ الجِيَــا … دَ ونَطرح عنَّا المَلُولَ الثَّقيلَا
ونُدْمِى من الخَيْلِ أفلاءَها … مَخافةَ أن يَسْتَرِقن الصَّــهِيلَا

والشِّعر طويل ، وإنما نكتب مالعله أن يُحفظ منه .

(١) فى هامش م : « ما بقيت ، رواية » .

(٢) انظر الطبرى (٢ : ١٤ – ١٩) طبعةمطبعة الاستقامة . والسيرة لابن هشام (١ : ١٠٩ و ١٢٣ – ١٢٤) طبعة الحلبى ، والروض الأنف للسهيلى ، والأوائل لأبى هلال العسكرى ، والكامل لابن الأثير (٢ : ١١ – ١٥)طبعة المنيرية .

وحَبْشِيَّةُ نفسه ، الذى سُقنا هذا القولَ كُلَّه من أجله ، كان شاعراً .

وقال بكرُ بن غالب بن عامر بن الحارث بن مُضَاض الجُرْهميّ ، بعد أن نَفتهم خُزاعة عن مَكَّة :

أَلا ليْتَ شِعرى هل أَبيتَنَّ ليلة ... وأَهلى مَعًا بالمَأْزَمَيْن حُلولُ

وهَلْ أُبصِرنَّ العِيَس تنفُخ فى البَرَى ... لها فى مِنًى بالمَحْرمين ذَميل (١)

فأَجابه حَبْشِية :

تَمَنَّى أَمَانىَّ الضَّلال وإنَّما ... نَفتْكَ رجالٌ ذَادةٌ وخيولُ

تمنَّيتَ أن تَلْقَى خُزاعة بَرْحةً ... فَقدْ مَعَجَتْ منها عليك سُيول (٢)

وبكر هو القائل يُخاطب شاعراً من خُزاعة ، يقال له : عمرو ابن الحارث بن عمرو :

يا عمرو لا تَفْخَرْ بمكَّة إنها بلدٌ حَرَامْ

واسْأَلْ بعادٍ أين هُمْ أم كيف تُخْتَرمُ الأَنام

أو بالعَماليق الذين لهم بها كان السَّوَام

وحُلَيْل بن حَبْشِيَة حَمُو قُصَىّ يقول الشعر أيضاً ، وأنشدونا له :

حُمْسًا ولسنا نُهْزَةً للمَحْضَر

الحُمْس ، من قُريش وخُزاعة وكِنانة ، سُمُّوا بذلك لتَنْزيههم أَنْفُسَهم عن مهنة الأَغمار ، وشرح خبرهم طويل) (٣)

---

(١) البرى : التراب . والذميل : السير اللين .

(٢) البرحة : السكرة . ومعجت : اضطربت. (٣) التكملة من م .

(حُبْشِيَّة) وفى مُزَينة : حُبْشِيّة[1] بن كعب[2] بن عَبْد بن ثَوْربن هُذْمَة بن عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة ، وأُم عثمان ابن عمرو ، وأَوْس بن عمرو : مُزينة بنت كاب بن وَبَرة ، فبها يُعْرَفون .

ومن حُبْشِيّةَ هؤلاءِ : النعمانُ بن عمرو[3] بن مُقَرّن بن عائذ[4] بن مِيْجَا بن هُجَيْر بن نَصْر بن حُبْشِيّة ، كانت له صُحبة ، ولّاه عمر رضى الله عنه كَسْكَر وجُوخَى[5] ، ثم ولّاه قتال الفُرس بنَهاوند (وكان على المُسلمين ممّن غزاها)[6] ، وبها اَسْتشهدَ فبكى عليه عُمر رضى الله عنهما ، وإليه تُنسبُ قُنَاطر النُّعمان بالجَبل[7] ، وكان يُكنى : أَبا عمرو . وأَخوه : سُوَيدٌ قُتل معَه ، ويُكنى أَبا عَدِيّ .

(حُبَيْب) فى رَبِيعة : حُبَيْب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلب ، واسمُ تَغْلِب : دِثَار .

منهم : الملقب أُفنون[8] وهو صُرَيم بن مَعْشر بن ذُهْل

---

(١) ضــبطه ابن حبيب فى كتابه المختلف (ص : ٤) بالعبارة فقال : بضم الحاء وسكون البــاء .

(٢) كذا فى م والمختلف والجمهرة (ص : ٢٠٢) وفى ت : « وهب » .

(٣) وكذا فى احدى روايتى الاستيعاب . قال ابن عبد البر : « ويقال النعمان بن عمرو بن مقرن » . وفى الجمهرة (ص : ٢٠٢) والاصابة والرواية الأخرى من الاستيعاب « النعمان بن مقرن » .

(٤) وكذا فى الاصابة والاســتيعاب . وفى الجمهرة (ص : ٢٠٢) : « عامر » .

(٥) ضبطه ياقوت فى كتابه معجـم البلدان بالعبارة فقال : « بالضم والقصر ، وقد يفتح » .

(٦) التكملة من م .

(٧) ذكر ياقوت فى كتــابه معجم البـلدان « قناطر النعمان » وقال « بناها النعمـــان بن المنـذر » .

(٨) فى هامش ت . « أفنون لقب غلب عليه ، والأفنون : الحية المسنة » . وقال ابن دريد « وهو : جمع فن » (انظر الاشتقاق ص : ٣٣٦

ابن تَيم بن عَمرو بن مالك بن حُبَيْب القائل :

أَلا لَسْتُ فى شَىءٍ فُروحاً مُعاوِيَا ... ولا المُشْفِقاتُ إذْ تَبِعْنَ الحوازِيَا [1]

فَطَأْ مُعْرِضًا إن الحتُوفَ كثيرةٌ ... وإنك لاتَبْقِى بنَفسك [2] باقيَا

ولَا خيرَ فيما يكذبُ المرءُ نَفْسَه ... وتَقْوالِهِ للشَّىءِ ياليت ذالِيَا

لعمرك مايَدرِى آمرؤٌ كيف يتَّقى ... إذا هو لم يَجعل له اللهُ واقيا

كفى حَزَناً أنْ يَرْحَلَ الركبُ [3] غُدوة ... وأُصْبِحَ فى أعلى إلاهَةَ ثاويَا [4]

وإلى حُبَيْب بن عمرو هذا جماعُ أَكثر نَسَب تَغْلب . ، (وإنما أَوردنا هذه الأَبيات لاعتمادنا أَلا نُخلى فصلًا من معلوم غير الأَسماءِ ، وبالله التوفيق) [5] .

وفى النَّمر : حُبَيْب [6] بن الجَهْم [7] .

وفى قُرَيش : حُبَيْب بن جَذِيمة بن مالك بن حِسْل (بن عامر ابن لُؤىّ) [8] قال ابن حَبيب : إلا أَن حَسَّانَ ثَقَّلَها فى الشِّعر فقال : (من معشر لا يَخفِرون بذمة [9] للحارث بن حُبَيِّب بن شُخام قال : وأَبو عُبيدة وعَوانة يقولان : سُحَام ، بالسين غير معجمة [10] .

---

(١) الحوازى : الكواهن ، الواحـدة : حازية .

(٢) المفضليات : « بمالك » . (٣) المفضليات : « الحى » .

(٤) الاهة : قارة بسماوة كلب . (٥) التكملة من م .

(٦) ضبط ابن حبيب « حبيب » هذا أو الذى بعده بتشديد الياء .

(٧) المختلف (ص : ٦) : « عامر » . (٨) بياض فى م . والتكملة من المخلف .

(٩) السيرة لابن هشام (٢ : ٢١) طبعـة الحلبى : « بجارهم » .

(١٠) قال السهيلى فى كتابه «الروض الأنف» عند التعليق على هذا البيت : « وقوله سحام هو اسم امه : واكثر أهـل النسب يقولون فيه : شخام : بشين معجمة . والفيت فى حاشية كتاب الشيخ ان ابا عبيدة النسابة وعوانة يقولان فيه : سحام بسين وحاء مهملتين ». والذى فى الأصل من قول ابن هشام « سخام » يسين مهملة وخاء معجمة . ولفظ شخام من : شخم الطعام : اذا تغيرت رائحته .)

(حُبَيِّب) وفى يَشْكُرَ : حُبَيِّب (بالتَّشديد) [1] بن كعب بن يَشكُر ابن بكر بن وائل . منهم : باعث بن صُريم بن أَسَد بن تَيم ابن ثعلبة بن غُبَر بن غَنم بن حُبَيِّب ، وإنما سُمِّى غُبَرٌ غُبراً لأَن غَنْماً تَزوج أُمه وهى عجوز ، فقيل له : ماأَردتَ إليها ؟ فقال : لعلِّ أَتغبَّرها غُلاماً ، فولدت غُلاماً فسماهُ غُبَر ، وأَصل ذلك من تَغبّر الحالب الضَّرع إذا طَلبَ غُبَر اللبن ، أَى بقاياه ، (وكان وائلُ بن صُريم ذا مَنزلةٍ عند المُلوك ، وكان مفتوق اللسان حُلوَه جميلًا ، فبعثه عمرو ابن هند ساعيا على تميم ، فأَخذ الإتاوة منهم جميعاً ، فلم يَبق غَير بنى أُسيّد بن عمرو بن تَميم ، فأَتاهم لجمع النَّعم والشاء ، وأمر بإحصائه ، فبينما هو قاعد على بئر إذ أَتاه شيخ منهم واغْتفلَهُ فدفعَه فى البئر ، واجتمعوا فرموه بالحجارة حتى قَتلوه . وتزعُم بنو أُسيِّد أَنهم رَمَوْا معه كلباً ورَجموهما حتى هلكا ، وهم يرتجزون :

يَأَيُّها المَاتِحُ دَلوىَ دُونكَا ... إنى رأَيتُ الناسَ يَحْمدُونكَا

وبلغ الخبر أَخاه باعثاً (فعَقد لواءًا ونادى فى) [1] بنى غُبَر وسار وآلَى أَن يقتُلهَم حتى تمتلئَ الدَّلوْ عند (إدلائها فى تلك البِئر) [1] دماً فوقع بهم ، فلم يزل يقتُل حتى أَدْلى أَحَدُهم دلوًا فرفعَها وقد مُلئت دماً ، (وقال باعثٌ فى ذلك :

سـائلْ أُسَيِّدَ هَلْ ثـأَرتُ بوائل ... أَمْ هَلْ شَفيتُ النفسَ من بَلْبَالِها

---

(١) التكملة من م .

إذ أَرْسَلُونى ماتِحاً بدمائهم (١) ... فملأْتُها عَلَقًا إلى أَسْبالها (٢)
وخِمارِ غانية عقدتُ برأسها ... أُصُلًا وكان مُنَشَّراً بشمالها
وعقيلةٍ يسعى عليها قائمٌ (٣) ... مُتَغَطرس أبديتُ عن خَلخالها
وفوارسٍ (٤) سُفعِ الوُجوه بواسِرِ (٥) ... كالأُسْدِ حين تذبُّ عن أَشْبالها
قد قُدت أوَّلَ عُنفوانِ رَعِيلها ... فَلَفَفْتُها بكتيبة أمثالها

وقال فى ذلك أُبَىّ بن مسعود اليشكرى ، المعروف بالمُنَخَّل :

قد فَرّ باعث أُسيِّدَ حَرْباً ... فى النواحى يشُبّ فيها الضِّرامَا
جَرَّدَ السيف ثائراً بأخيه ... يقتُل الكهل منهمُ والغلامَا
وَمَلأْنا الرَّكِىَّ حتى عُراهَا ... عَلَقاً يُبْرِد القُلُوبَ السِّقَامَا

وفى ثَقيف : حُبيّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط ابن جُشَم بن ثَقيف .

(حَرَام) فى جُذام : حَرَام بن جُذام .

وفى تَميم : حَرَام بن كَعب بن سَعد .

وفى خُزاعة : حَرام بن حَبَشِيّة بن كَعب بن سَلُول .

وفى عُذْرة : حرام بن ضِنَّة بن عَبْد بن كَبير بن عُذْرة .

وفى بَلِىّ : حَرَام بن جُعَل بن عمرو بن جُشَم بن وَدْم (٦) .

---

(١) الحماسة (٢ : ١٠٩) والسمط (ص : ٤٧٦) : « لدلائهم » .

(٢) الى اسبالها ، اى الى اعاليها .

(٣) الحماسة والسمط : « قيم » .

(٤) الحماسة والسمط : « وكتيبة » .

(٥) الحماسة والسمط : « بواسل »

(٦) كذا فى الأصلين والمختلف (ص : ١٢) والقاموس (ودم) وضبطه الفيروز آبادى بالعبارة فقال : « ودم ، بالفتح علم أو بطن من كلب فى تغلب ، وجشم بن ودم بن بلى فى قضاعة » . والذى فى الجمهرة (ص : ٤٤٣) : « وذم » وكذا ذكرها ابن دريد فى الاشتقاق (ص : ٥٤٢) وقال : « بنو وذم ، وهم فى بنى تغلب الى اليوم » ثم اكد انه بالذال المعجمة فقال : والوذمة : كل سير مستطيل او قطعة ادم مستطيلة » .

(حِزَام) (وفى قَيس)[1] : حِزَام بن هلال بن خَلَاوة بنَ بَكْربن أَشْجع[2] .

(حَبْتَر) فى خُزَاعة : حَبْتر[3] بن عِدَىّ بن سَلُول .

(حَنشر) وفى تميم : حَنْشَر[4] بن غُوَىّ بن سلامة بن غزَىّ[5] ابن جُرْأَة[6] ، بن أُسَيِّد بن عَمرو بن تَميم .

وفى أَسَد : حَنْشَر[4] بن كاهل بن أَسَد .

وفى قَيس : حَنْشَر[4] بن وَهب بن وَبْر بن الأَضْبط بن كلاب .

(الحرْمز) فى خزاعة : الحِرْمِزُ بن سَلُول بن كَعب .

وفى طَيِّىء : الحِرْمز[7] بن أَخْزَم بن أَبى أَخْزَم .

وفى أَسَد : الحِرْمز[8] بن كاهل بن أَسَد .

(حَزِيمة) فى قُضاعة : حَزِيمة بن نَهْد بن زَيْد بن لَيْث بن سُود ابن أَسْلم بن الحافِ بن قُضاعة ، وفى أَمر حَزِيمة وقعت الحرب والفُرقة فى بنى مَعدٍّ .

---

(١) التكملة من م .

(٢) وانظر الجمهرة (ص : ٢٤٩ و ٢٥٠) ففيها : خلاوة بن سبيع بن اشجع » .

(٣) ضبطه ابن حبيب بالعبارة فقال : « بالياء والتاء باثنتين » . (المختلف ص : ١١) .

(٤) وكذا فى المختلف (ص : ١١) . والذى فى القاموس (خنتر) : « وخنتر : فى نسب . تميم وفى أسد بن خزيمة وفى قيس عيلان » .

(٥) فى المختلف (ص : ١١) : « عـدى » بالعين المهملة .

(٦) فى المختلف : « جروة » . وفى الجمهرة (ص : ٢١٠) : « جردة » .

(٧) وكذا فى الجمهرة (ص : ٢٣٥) . والذى فى المختلف (ص : ١١) : « الحزمر ، بزاى بعد الحاء » وكذا فى الاشتقاق (ص : ٤٦٨) .

(٨) انظر الحاشية السابقة ، وقد أضاف ابن حبيب كلمة : « مثله » يعنى أنه «الحزمر» بزاى بعد الحاء ، مثل الذى سبقه .

وفى رَبيعة : حَزيمة بن طارق بن شَراحيل بن عتْبان بن سَعد
ابن زُهير .

وفى بَجيلة : حَزيمة[1] بن حَرب بن علىّ بن مالك
ابن سعد بن نَذير بن قَسر

وفى قيس : حَزيمة بن رِزَام بن مازِن بن ثَعلبة بن سَعد
ابن ذُبْيان .

(حِشْم) فى جُذام : حِشْم بن جُذَام .

(حَيْشَم) وفى كَلب : حَيْشَم بن عبد مَناة بن هُبَل . وسائر العرب
جُشَم ، بالجيم .

(حُلْوَان) وفى قُضاعة : حُلْوَان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة .

(أَبو حُرَّة) فى حَنيفة : أَبو حُرّة الحنفى ، وهو الذى أَنفذه علىٌّ عليه
السلام إلى مَصْقلة بن هُبيرة يُطالبه بأَثمان أَسْرَى بنىسامَة ،
ويأْمُره إن لم يؤدِّ المالَ أَن يُشْخِصَه إلى ابن عبّاس ، وكان
عامَلَه على البَصرة والأَهواز وفارس ، فأَوصل أَبو حُرة
الكِتَابَ ، فلم يُؤدِّ مَصقلةُ من المال شيئاً ، فأَشْخصه إلى
البصرة وذلك فى (خبر طويل قد كتبناه)[2] فى باب
السين فى «سامة»[3] .

(الحَلّاف) فى بنى أُسَد : الحَلّافُ ، وهو الحارث بن سَعْد بن ثَعلبة
ابن دُودان بن أَسد .

---

(١) الجمهرة (ص : ٣٨٧) والاصابة (ت :١١٣٢) : «خزيمة» .
(٢) التكملة من م .
(٣) زادت م بعد هذا فى الهامش «أبو حنة» ولم تذكر معه شيئا .

وفى عَاملة : الحَلَّافُ بن عامر مازن بن مُرّ بن أَبى عَزْم ابن عَوْكَلان .

(حُدَيْلَة) وفى الأَنصار : حُدَيْلة ، مضموم الحاءِ مفتوح الدال . وهم بنو معُاوية بن عَمرو بن مالك بن النَّجار . وحُديلة أمهم . وهى حُديلة بنت مالك بن زَيد مَناة بن حبيب بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخَزْرج ، وأُبى ابن كَعب ، من حُدَيلة .

(حَسِين) فى طَيِّء : حَسِين ، بفتح الحاء ، بوزن فَعِيل مثل غَريم ، حَسَن ، وحَسِين ابنا عَمرو بن الغَوث بن طَيِّء . ولم أَر حَسِينا غيره ، والباقى كله حُسَين .

(حُرَب) فى مَذْحِج : حُرَبُ من مَظَّة بن سَلْهَم [1] بن الحكم ابن سَعد العَشِيرة .

وفى قُضاعة : حُرَب بن قاسط بن بَهْراء . وكل شئ فى العرب : حَرْب ، بفتح الحاء وسكون الراء ، سوى هذين الإسمَيْن .

(حُدَال) فى مُضَر : حُدال بن كنانة بن خُزيمة ، هم باليمن فى غير قَومهم .

(حِرْبش) فى أَسَد : حِرْبِش ، بالباء مكسورة [2] بن نُمير بن والبة ابن الحارث (بن ثَعلبة بن دُودان) [3] .

(حَرِيش) وفى قيس : الحَرِيش بن كَعب .

---

(١) ضبط فى الجمهرة (ص : ٤٠٩) والمختلف (ص : ٤٨) بالقلم بالكسر ، مثل : زبرج . وضبطه صاحب القاموس بالعبارة فقال : سلهم ،كجعفر .. حى من مذجج ، وكزبرج : رجل » .

(٢) وكذا فى القاموس « حربش » .   (٣) التكملة من م .

وفى الأَزْد : الحرِيشُ بن جَذِيمة بن زَهْران بن الحَجْر ابن عِمْران .

(حُذَاقَة) فى إِيَاد بن نزَار : حُذاقة ، بقاف .

وفى كَلب : بنو الحذَاقيّة ، يقال للرجل منهم : حُذَاقِى ، وهم ولدُ بَكْر بن عامِر الأَكبر ، أُمُّهم : هِند بنت أَنْمار ابن حُذَاقة بن زُهْر بن إِيَاد .

(حُذَافة) فى قُريش : حُذَافة ، بفاء ابن جُمَح بن عمرو[1] .

وفى رَبيعة : حُذَافة ، بفاء أَيضاً ، ابن سَعدبن قَيس بن ثعلبة .

(حُمَيْس) فى طابِخه : حُمَيْس بن أُدّ بن طابِخة .

وفى كِندة : حُمَيْس بن سَكْسَك بن أَشْرس ، (مثلها)[2] .

وفى كنانة بن خُزَيمة : حُمَيْس بن سَعْد بن لَيث ، وفيها حُميس بن جُدَىّ بن سَعد بن ليث .

(جَمْرة) فى الأَزْد : حَمْرة ، بالراء وفتح الحاء ، ابن عُبَيد بن عُبْرَة ابن زَهران .

وفى همدان : حُمْرة ، بضم الحاء ، ابن مالك بن مُنبِّه ابن (سَلَمة)[3] .

وفى تَميم : حُمرة ، أَيضاً بالضم والحاء ، ابن جعفر بن ثعلبة ابن يَربوع .

---

(١) وكذا فى الجمهرة (ص : ١٥٩) . وفى م : « عمرو بن جمح » .

(٢) التكملة من م .

(٣) فى الأصلين : « عنزة » وما أثبتنا من الجمهرة (ص : ٣٧٩) والاشتقاق (ص : ٢٩١) ومختلف القبائل (ص : ٣٥) .

(حَرَس) في طَيِّء: حَرَس[1] بن جُنْدب بن خارجة بن سَعد ابن فُطْرَة بن طَيِّء (بالحاء غير معجمة)[2].

(حَدَس) وفي لَخْم: حَدَس (بالدال)[2] بن (أُرَيْش بن)[3] إِرَاس بن جَزِيلة بن لَخْم.

(الحِدأ) في مذحج: الحِدَأ[4]، بطن بالكوفة، ابن نَمِرة بن سعد العَشيرة بن مالك بن أُدَد.

(الحَدّاء) في جُعفيّ: الحَدَّاء، ممدود، ابن ذُهْل بن مَرَّان بن جُعفِي.

(حِسْل) في قريش: حِسْل بن عامر بن لُؤَى.

وفي طيء: حِسْل بن زيد بن عمرو بن ثُمامة بن مالك ابن جَدْعاء.

(حَسَن) وحَسِين: ابنا عمرو بن الغَوث بن طيء، ولم أر حَسينا غيره[5].

(حُشَيش) في تَميم: حُشَيْش بن نَمْران بن سَيْف بن حِمْيَرِيّ بن رِيَاح ابن يَرْبوع بن حَنْظلة؛ وحُشَيش (بالحاء)[2] ابن حُرْقُوص ابن مازِن بن مالك بن عَمْرو بن تَميم.

وفي بَجيلة: حُشَيش (بالحاء)[2] بن هِلال بن الحارث ابن رِزاح[6].

وفي كنانة: حُشَيش، بالحاء غير مُعْجمة، ابن عَدِى،

---

(١) قال ابن حبيب في المختلف (ص ٣٣): «بجزم الراء وفتحها».

(٢) التكملة من م.

(٣) التكملة من المختلف (ص: ٣٣) والجمهرة (ص: ٤٢٣).

(٤) وانظر الجمهرة (ص: ٤٠٨) والاشتقاق (ص: ٤٠٩).

(٥) انظر «حسين» (ص ٥٣) من هذا الكتاب.

(٦) قال الفيروزآبادي في القاموس «رزح»: «ورزاح بن عدى بن كعب بالفتح، وابن عدى ابن سهم، وابن ربيعة بن حـزام بالكسر». و «رزاح» المذكور هنا هو ابن ربيعة بن حرام.

ابن عامر بن ثَعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة . وليس فى العرب ، خُشيش ، بالخاء ، ولا تُسمِّى به .

(أبوحَنَش) فى تَغلب : هو أبوحَنَش عُصْم بن النُّعمان بن مالك بن عتَّاب ابن سَعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبيب بن عمرو ابن غَنْم بن تغلب ، قاتل شُرَحْبِيل ، وهو الذى يقول له سَلمة :

ألا أبلغ أبا حَنش رسولًا فما لك لاتجىءُ إلى الثواب[1]

(أبوحُبَيْش)فى زُهْرة : أبو حُبَيْش بن عبد عوف بن الحارث بن زُهرة. وفى بنى أسد بن عبد العُزَّى : أبو حُبَيش بن المُطَّلب ابن أسد بن عبد العُزى ، وكان أبو حُبَيش مُلازماً للحِجْر ، وكان يقال له : خَيمة أبى حُبَيش ، وقال عُمر (ابن الخطاب)[2] رضى الله عنه : ما أحدٌ إلا وفى نسبه وَصْمة غير السَّائب بن أبى حُبَيش ، وكان السَّائب عالى السنِّ يَرْوى عن عُمر ، وتَزوَّج مُصعَبٌ ابنةً له على مائة ألف درهم .

(أبوحازم) فى الأزد : أبوحَازم القاصّ ، فى خَثْعم بن أنمار .

(حُلَيْف) حُلَيْف بن مازن بن (جُشَم بن)[2] حارثة بن سَعد بن عامر ابن تَيم الله بن مُبَشِّر ، وكل شىء فى العرب : خُليف ، بالخاء المعجمة إلَّا حُلَيف بن مازن هذا ، فإنه بالحاء المهملة .

(حَطْمَةُ) وفى عبد القَيْس : حَطْمة بن مُحَارب بن (عمروبن)[3]

---

(١) فى هامش م : « قلت : والأبيات فى يوم الكلاب . وانما زدت أنا فى البيان فى اسم ابى حنشن الذى ذكره ابن المغربى فى هذا الباب فاعلمه » .

(٢) التكملة من المختلف (ص : ٤٨) . (٣) التكملة من الجمهرة (ص : ٣٩٧) .

وَديعة بن لُكَيْز[1] ، بفتح الحاء وتسكين الطاء.[2] .

وفى جُذام : حَطْمَة [3] بن عَوف بن السَّلمْ بن مالك ابن سُود بن تَدِيل بن جُشم [4] بن جُذَام .

(حِشان) فى تميم : حِشَّان[5] ، وهم زَبينة بن مازن بن مالك ، وقبائل من عمرو [6] يقال لهم : الحِشَّان .

وفى مَذحج : الحِشّان بن عمرو بن صُداء ، شُبِّهوا فى اجتماعهم بالحُشِّ والنَّخل [7] .

الخاء

(خَدان) فى أسد بن خُزَيمة : خَدَّان بن عامر بن هِرّ بن مالك ابن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَد .

ومن ولد خَدّان : معاوية ، وشَبيب ، ورقَبَة ، بنو خَدَّان

وعن أحمد بن جابر البَلاذُرى ، قال : بنو خَدَّان هم الذين أَكَبُّوا على حجر بن الحارث ليمنعوه من القَتل.

(خَلْدَة) فى الأَنصار : خَلْدَة بن مَخْلَد بن عامر بن زُريق بن عامر

---

(١) فى الأصـلين : « بكير » وما أثبتنا من الجمهرة .

(٢) ضبطه ابن حبيب فى المختلف (ص : ٣٩) بالعبارة « بحاء وطاء مهملتين مفتوحتين ». ووافقه السمعانى فى الأنساب (ص : ١٥٨) . والذى فى القاموس (حطم) و « حطمة » بضم ففتح ، ضبط قلم .

(٣) فى المختلف : « خطمة مثله » يعنى مثل الذى قبله .

(٤) وكذا فى الجمهرة (ص : ٤٢٠) . والذى فى المختلف (ص : ١٩و٤٠) : « حشم » بالحاء المهملة المكسورة وسكون الشين المعجمة .

(٥) فى ت : « حشيان » تحريف . وضبطه المختلف (ص : ٢٩) بالعبارة « بكسر الحـاء المهملة وتشديد الشين المعجمة » .

(٦) هم : غيلان بن مالك ، وعبد الله بن مالك، وغسان والجرماز ، بنو مالك بن عمرو بن تميم أو كعب بن عمرو بن تميم الحش ، (المختلف ص : ٣٠) .

(٧) الحش بالضم : البستان ، وبالفتح : النخل الناقص القصير ليس بمسقى ولا معمور.

ابن زُريق بن عبد حَارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم ابن الخَزْرج بن حَارثة ، منهم جماعة شَهِدوا بدراً .

وفى يَشْكُر : أبو خَلْدَة اليَشْكُرِىّ . رأيت بخط أبى بكر ابن دُرَيد – رحمه الله – : أبو خَلْدَة . بالخاء ، ومن قال بالجيم فقد أخطأ . ورأيت بخط اليَزيدىّ ، وخط أبى عبد الله بن مُقْلة ، مما ذكر أنه نقله من خط ثَعلب : أبو جلدة ، بالجيم . وقال إلى الذُّهلى : أنه سمعه من البادية اليَشْكُرِيِّين : أبو جِلدة ، بالجيم ، وأنا أرى لُزوم ى أبى بكر ابن دُريد ، وقوله بالخاء.

(خُدْرَة) فى الأنصار : خُدْرة بن عَوْف من الخزرج .

وفى بلىّ : خُدْرة ، ملثها ، ابن كاهِل بن أَرْشَد [1] بن أَفْرَك ابن هِرم بن هَنىّ بن بلِىّ.

(خمْل) فى كنانة : خُمْل ، بالخاء ، ابن شِقّ بن رَقَبة بن مُخْدِج ابن عامر بن ثَعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة .

(أبوخازِم) فى أسد : أبو خازم بن بجيلة ، وابنه : [2] قَيس بن أبى خازم ، الفَقِيه : وأخوه خازم بن أبى خازم [3] ، قتل يوم صِفين ، مع علىّ عليه السلام .

وفى أَسَد : أبو خازم بن بِشْر [4] ، أبو خازم القاضى

(١) فى المختلف (ص : ٤٣) « رشد » .

(٢) ضبطه ابن الأثر فى كتابه الكامل (ج : ٣ ص : ١٦٥) طبعة مصر بالعبارة فقال : « حازم ابن أبى حازم » بالحاء المهملة .

(٣) يريد انه قتل فى هذه الوقعة التى كان فيها مع على عليه السلام .

(٤) فى م : « فى أسد : أبو بشر بن أبى خازم » .

المُتَّاجِر (بضم الميم وتاء مفتوحة مشددة وحاء مكسورة بَيْنهما ألف)[1]

(الخَزْج) فى كَلْب : الخَزْج[2] ، وهو زيْد مَناة بن عامر بن بَكر ٱبن عامر الأكبر ، منهم : دِحْية بن خَلِيفة بن فَرْوة ٱبن فَضَالة بن زَيد بن ٱمْرئ القَيْس بن الخَزْج .

ومنهم : حارثة بن زيد بن ٱمرئ القيس ، وكان شريفاً ، وله يقول الأَعْشَى :

وَلَا مِن رَهْط جَبَّار بن قُرْطٍ ... ولا مِن رَهْط حارثةَ بن زَيْد[3]

(الخَزْرَجُ) وفى يَشكُر : الخَزْرج .

وفى الأَنصار : الخَزْرَج .

وفى تَغلب : الخَزْرَج .

(خَمة) فى كَلْب : خَمَّة بن......[4] .

فى تَمِيم : خَمَّة بن ...[4]

(خُشَيْن) فى قُضاعة : خُشَين بن النِّمر بن وَبْرَة[5] .

(خَطْمَة) فى الأَنصَار : خَطْمَة بن جُشَم بن مالك بن الأَوْس.

وفى طَيِّىء : خطْمَة وخُطَيمة، ابنا سَعْد بن ثَعلبة بن نصر ٱبن (سَعْد بن)[6] نَبْهان .

(١) التكملة من م .
(٢) ضبطه ابن حجر فى الاصابة (ج ١٠ :ص ٤٦٣) طبعة مصر بالعبارة فقال : « بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاى ثم جيم » . وقال الفيروزآبادى (خزج) : « الخزج بن عامر فى نسب دحية بن خليفة ، وسمى به لعظم جثته » . وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب: « الخزج النظير هو زيد مناة بن عامر » وقد جاء محرفا فى الجمهرة (ص : ٤٥٨) : « الخزرج » .
(٣) ديوان الأعشى (ص : ١٧٩) طبعة مصر. (٤) بياض بالأصلين لم نوفق الى استكماله.
(٥) زاد المختلف (ص : ٤٧) : « خشين بن عصيم بن لأى شمخ بن فزارة » .
(٦) التكملة من المختلف (ص : ٤٠) .

(خَشَّان) في قيس عَيلان: خَشَّان، بالخاء[1] ابن لأى بن عُصَيم ابن شَمْخ بن فَزارة.

(خُزَيمة) في قريش: خُزيمة بن لُؤىّ بن غالب.

(وفى مُضَر)[2]: خُزيمة بن مُدْرِكة.

(خُلَيف) كل شيء في العرب «خليف» فهو بالخاء، إلا فى خثْعم ابن أنمار، فإنه حُلَيْف بالحاء، ابن مازن بن جُشَم بن حارثة ابن سَعد بن عامر بن تَيم الله بن مُبَشِّر.

الدال

(دِحْية) في كَلب. دِحْيه بن خَلِيفة بن فَروة بن فَضالة بن زَيد ابن امرىء القيس بن الخَزْرج[3].

(دُكَيْن) في بنى فُقَيْم بن تَميم: دُكَيْن.

(دُهْن) في عَبد القيس: دُهْن بن عُذرة بن مُنَبِّه بن نُكْرة[4] ابن لُكَيْز.

وفى بَجِيلة: دُهْن بن مُعاوية بن أَسْلَم بن أَحْمَس بن الغَوْث بن أنمار.

(دَهْى) في مَذْحج: دَهْىُ بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مالك بن أدد[5].

---

(١) التكملة من م. وفى المختلف (ص: ٢٩): «بالخاء والشين المعجمتين مع تشديد الشين».

(٢) التكملة من المختلف (ص: ١٩).

(٣) مر الكلام عنه فى حرف الخاء عند الكلام على «الخزج».

(٤) فى الأصلين: «ذكرة». وما أثبتنا من المختلف (ص: ٤٩) والجمهرة (ص: ٢٩٥).

(٥) فى الأصلين: «جلد بن مذحج. وما أثبتنا من المختلف (ص: ٤٩) والجمهرة (ص: ٤١٢) وجلد بن مذحج هذا الذى ذكره المؤلف ليس هو المعنى هنا (أنظر الجمهرة ص: ٤٠٥).

(دَأْلان) في هَمْدان : دأْلان بن سابقة بن ناشج بن دافع .

وفي تميم : رَأْلان ، بالراء ، ابن مازن بن مالك[1]

(الدِّيل) في ربيعة : الدِّيلُ بن حَنيفة بن لُجَيْم (بضم الدال ، وكسرها) [2] .

وفي الأَزد : الدِّيلُ بن هَدَاد بن زَيْد مناة بن الحجَر .

وفي تَغلب : الدِّيلُ بن زيد مَناة بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلب .

وفي إياد : الدِّيلُ بن (أُمية) [3] بن حُذَاقة بن زُهْر .

وفي عبد القيس : الدِّيل بن عمرو بن وَديعة ، منهم الصَّلتان ، ثم أحد بني عامر بن طفر بن الديل ، ثم من بني هجرس : رأيته بخط ابن سعدان في كتاب إسلام عبد القيس عن أبي غسان .

وفي عَبْد القيس أيضاً : الدِّيلُ بن شَنّ بن أفْصَى بن عبد القيس ، منهم : عبد الرحمن بن أُذينة بن سلمة ، وهو من بني بُهثة بن جذيمة بن الدِّيل ، وكان قاضي الحجاج على البصرة ، وأخوه عبد الله — عامل مُصعب على فَسَا ودَرَابْجِرْد [4] ، وهو الذي سَفر بين الأَزد وتميم حين قتل مسعود بن عمر في الصباح .

ومنهم : الأَعور الشَّنّي [5] ، من بني عائذة بن صَبرة بن

---

(1) حق هذه الترجمة أن توضع في حرف الزاء . ولكنها وردت هنا في النسختين .

(2) التكملة من م . والذي في المختلف (ص : ١٧) : « الدول بن حنيفة .. » قال ابن دريد في كتابه « الاشتقاق » (ص : ٣٢٥) « وفي العرب : الديل والدول والدئل ، والدول من حنيفة . والدئل من بني بكر بن كنانة » .

(3) التكملة من م .

(4) فسا ودرابجرد : مدينتان بفارس . (معجم البلدان) .

(5) وانظر (ص ..) من هذا الكتاب .

أبى عمرو بن الدِّيل . كذا قال أبو عُبيدة فى كتاب : مبتدأ إسلام عبد القيس ، نقلته من خَطّ المُبارك بن سعدان .

الدُّئِل — فى ضبّة : الدُّئِل[1] بن سَعْد بن ضَبَّة .

وفى الهُون بن خُزيمة : الدُّئِل ، مثل دُعِل مَهموز ، ابن مُحلِّم بن غالب بن يَثْيِع[2] بن الهُون بن خُزيمة .

وفى كنانة : الدُّئِل بن بكر بن عبد مَناة بن كنانة ، رهط أبى الأَسود ، ظالم بن عمرو بن سُفيان (ابن جَندل بن يَعْمُر بن حِلْس بن نُفَاثَة بن عَدى بن الدُّئِل ، ويقال : اسمه عثمان بن عمرو . قال أَبو العبّاس محمود بن محمد ، (قال محمد بن سلام الجُمحى : هو الدُّئل . (مضموم الدال مكسورُ الياء ، قال العَبْدِىُّ مثل ذلك ، أخبرنى عنهما العَمِّىُّ)[3] .

(الدُّول) — وفى عَنزة : الدُّول بن صُباح بن عُتَيك بن أَسْلَم بن يَذْكُر ابن عَنَزة .

وفى الأَزْد : الدُّول بن سَعد مَناة بن غامِد .

وفى الرَّبَاب : الدُّولُ بن جَلٍّ بن عَدِىٍّ بن زَيد مَناة بن أُدّبن طابخة .

(دِجَاجَة) — الدّجاج لهذا الطائر المعروف تقوله العرب بالفَتح ، وهو الأَفصح ،

---

(١) فى المختلف (ص : ١٧) : « الدول » .

(٢) ضبط فى القاموس « يثيع » بالعبارة : « يثيع : كيضرب « ابن الهون بن خزيمة » . وجاء فى المختلف (ص : ١٨) : « يبثع » بباءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة ثم تاء .

(٣) التكملة من م .

وقد يقال بالكَسْر ، وليس بفصاحة الأَول ، فأَما الأَسماءُ فكلها دجَاجَة ، بكسر الدال ، فمن ذلك : دِجَاجَة بن أَهْوَى ابن عَلْقمة بن مَوْهُوب[1] بن هاجِر بن كعب بن بَجَالة بن ذُهْل بن مالك بن بكر بن سَعد بن ضَبَّة ، وهو حسَنُ الشِّعر ، ومن قوله يمدح رجلَيْن :

فَكَرَّا ولو شاءَ لنجَّاهما معاً من المَوْتِ جَيّاشا الضُّحى رَبذَان[2]
هُما تركَا دَارَ الهَوانِ لأَهلِها وغُودِرَ قَيْسِىٌّ بها ويَمَانِ

وفى تَيم بن عبد مناة بن أُد بن طابِخة : دِجاجَة بن عَبد قَيْس بن امرىءِ القَيْس بن علْبَاءِ بن رَبيع بن عمرو بن عَبد الله بن لُؤَىّ بن عمرو بن الحارث بن تَيم بن عَبد مَناة ابن أُدَّ بن طابِخة ، شاعرجاهلى ، وهو القائل :

تعجَّبُ مِمَّا قد علا الرأس جارتى وقد شَمِطَتْ قَبلى فلم أَتعجبِ
وَلَسْتُ بفَحَّاشٍ ولا ذى نَمِيمة يُزَجِّى إِلَيهم كُلَّ أَفعَى وعَقْرَبِ

وإِيَّاه عَنَى ذُبَابُ بن مُعَاويَة (العُكلى ، إذ يقول)[3]

أَلا أَبلغَا تَيماً فإِنِّ مُكلِّمٌ دِجاجَتِكُمْ هذا الذى لا يُكَلَّمُ
سَتُقْصِر أَو تَنهاكَ عنِّ عظيمةٌ من الأَمر تَعْيَاها القوابلُ مُتْئمُ

ودِجاجة : اسم مُشترك بين الرجال والنِّساء .

فمن النساءِ اللواتى تَسمَّين بهذا الاسم :

دِجَاجَة بنت صَفوان بن حُصَيْن بن مُوَيْلكٍ بن أَبى مُلَيك ،

---

(١) معجم الشعراء للمرزبانى (ص : ١١٥) : « مرهوب » بالراء .

(٢) ربذان : اى خفيفان سريعان .

(٣) التكملة من م .

وكانت شاعرة ، وهى القائلة تنصر أُمها فى مفاخرة كانت بينها وبين بعض نساء قومها :

(تَقُولُ ما قالت لهم قَطَامْ)[1] وكُلُّ قوم لهمُ إمامْ
(أولاد سَعْدٍ عزُّها اللُّهام)[1] وذَادَةٌ إذ وقف الخُصَّامُ

وأُمّها قَطام بنت حَنَش بن مُوَيلك ، ابنة عم أبيها ، شاعرة أيضاً مُحْسنة ، وهى القائلة :

فذرْ ذَا ولكنْ ما ترى ضَوْءَ بارقٍ يُضِيءُ سَنَاهُ الماءَ باللَّيل أَكْدرَا
تَحدَّر من غَوْرَيْه وانتحبت به صُدُورُ غمام فاستهَلَّ فَأَمطرا
كأَن خُزَامَاهُ إذا اُعْتَمَّ نَبْتُه وسَاوَى بِأَطرافِ العِضَاهِ ونَوَّرَا
نُطُوعُ رِحَالٍ أَو زَرابىُّ تاجرٍ على حِين أَنَ بَثَّ العِيَابَ ونشَّرا

ومن قولها لعَوْف بن الأَحوص الكلابى ، واسم الأَحوص : ربيعةُ بن (جَعْفرين)[2] كِلاَب ، وكان عوف يُهاجيها ، فقالت له :

أَعيَّرتنى داءً بأُمّك مِثلُه وذلك داءٌ ظَاهِرٌ لا يَضيرُهَا
بَنُو غَنَوِيَّات كرام مَوَاجِد أَعَاشَكَ ما ضمَّتْ عليك حُجُورُها[3]

فى أَبيات طويلة ، وقصص ممْتدّة .

الذال

(أَبو ذُوَيب) فى هُذَيل : أَبو ذُوَيب الهُذلى ، معروف .

(قلت : واسمه خُويلد بن خالد بن مُحرِّثِ بن زُبَيْد بن

(١) التكملة من م .
(٢) مكان ما بين القوسين بياض بالأصلين ، والتكملة من الجمهرة (ص : ٢٨٤) .
(٣) غنويات : نسبة الى غنى ، وهى قبيلة منها أمها بنت رياح بن الأشل الغنوى .

مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سَعد ابن مُدركة بن إلياس بن مُضَر)[1].

(أبوذِئْب) أبو ذِئب : هشام بن شُعبة بن عبد الملك بن أَبى قيس ابن عَبدوُدّ بن نَصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُوَىّ ، كان من أشراف قريش ، وهو الذى حَبسه ملك الروم فمات فى حبسه . وخبر ذلك مكتوب فى باب «أروى بنت الحارث بن عبد المطلب» من كتاب النساء . ومن ولده : محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أَبى ذئب ، وكان محمد يُكنى : أبا الحارث . مات بالكوفة سنة (تسع وخمسين ومائة)[1] وهو ابن تسع وتسعين سنةً[2] ، وهو الذى يقال له : ابن أَبى ذِئب ، وله مع (أبى جعفر)[1] المنصور وَغيره أخبار مذكورة ، رحمه الله .

(ذُبيان) فى قيس : ذُبْيان[3] بن بَغِيض بن ريث بن غَطَفان ابن سَعد بن قيس عيلان .

وفى الأَزْد : ذُبْيــان بن ثعلبــة بن الدول بن ســعد مناة ابن غامد .

وفى بَجيلة : ذُبْيان بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث ابن أنمار .

---

(١) التكملة من م .

(٢) فى الجمهرة (ص : ٣ ، ١٦) : « ولدسنة ٨١ ومات بالكوفة سنة ١٥٩ » وعلى هذه الرواية فيكون عمره نحوا من تسع وســبعين سنة .

(٣) ضبط بالقلم فى الأصلين بالضم والكسر . ونقــل ابن حبيب عن ابن الاعرابى فى (المختلف ص : ٢٤) : « قال : « ذبيان وذبيان واحــد ، يعنى بالضم والكسر . قال ابن الأعــرابى : رايت الفصحاء يختارون الخفص » .

وفى ربيعة : ذُبيان بن كِنانة بن يَشْكُر .

وفى همدان : ذُبْيان بن مالك بن معاوية بن صَعْب بن دُومَان

وفيها أيضاً : ذُبيان بن عَلَيَانَ بن (أرحب) [1] بن دُعام ابن مالك بن مُعاوية بن صَعْب بن دُومَان .

الراء

(رَيْث) في قَيس عَيْلان : رَيْثُ بن غَطفان بن سَعْد.

(رُبَث) وفى قُضاعة : رُبَث [2] بن قاسط بن بَهْرَاء .

(رَوَاحَة) في عَبس : رَوَاحَةُ بن رَبيعة بن (مازن بن) [3] الحارث ابن قُطَيْعة .

وفى طَيئ : رَواحة بن جُلّ بن حِقّ بن رَبِيعة (بن عَبْد رُضَا بن وَدّ بن مَعْن بن عَتُود بن عُنَيْن بن سَلامان ابن ثُعَل) [1]

(رِبِّيل) فى إيادٍ : رِبِّيل بن عمرو بن الطَّمَثَانِ (بن عَوْذِ مَنَاة ابن يَقْدُم) [1] .

وفى جُذام : رِبِّيل بن إيَاس بن حَرام بن جُذَام .

(رَسْن) فى طيئ : رَسْنُ [4] بن عَمرو بن عمر بن الصَّامت .

وفى الأَزْد : رَسْن بن عامر بن عمرو بن كعب بن الغِطريف

---

(١) التكملة من م .

(٢) فى الأصلين : « ريث » بالياء المثناة . وما أثبتنا مو القـاموس . (ربث) والمختلف (ص : ٤٢) . وقد ضبطه صاحب القاموس بالعبارة فقـال كزفر » وضبطه ابن حبيب هو الآخر بالعبارة فقال : « بكسر الراء ، وقال بضم الراء » .

(٣) التكملة من الجمهـرة (ص : ٢٥١) والمختلف (ص : ٣٢) .

(٤) قال صاحب القـاموس (رسن) :« ورسن بن عمرو وابن عامر ، بالفتح » .

(حارثة بن امرئ القَيْس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزد)[1]

(رَاسب) في الأَزد : رَاسِبُ بن مالك بن مَيْدَعَان بن مالك بن نصر ابن الأَزد .

وفى قُضاعة : رَاسِبُ بن الخَزْرج بن جُدَّة بن جَرْم ابن رَيَّان (بن حُلْوان)[1] .

(رَبَّان) فى علكّ : الرَّبَّان [2] بن أَكْرَم بن عِسَّان بن غافِق بن الشاهد بن عَكّ .

وفى بنى ذُهْل بن ثعلبة : ريَّان [3] بن الحارث بن مالك ابن شيبانَ سَدوس بن ذُهْل بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل .

(ريان) فى قُضاعة : رَيَّان (بالرَّاءِ غير معجمة) [2] ابن حُلوان ابن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ، وَرَيَّانُ هذا هو عِلَاف ، كان أَوَّلَ من نَحت رَحْلًا فرَكِبه فنُسبت الرِّحَالُ إليه ، فقيل : العِلَافيَّة [4] .

(رَمَّانُ) فى مذحج : رَمَّانُ بن كعب بن أَوْد بن صَعب بن سَعْد العشيرة ، (بالراءِ مفتوحة) [2]

وفى السَّكون : رَمَّان ، أيضا (براءِ مفتوحة ، ابن مُعاوية بن ثعلبة بن عُقْبة بن السُّكُون مثلها)[1] .

---

(١) التكملة من م .

(٢) ضبطه ابن حبيب فى كتـــابه المختلف (ص : ٧) العبارة فقال : « بالراء والياء مفتوح مشدد » .

(٣) وكذا فى الجمهرة (ص : ١٧) . وفى المختلف (ص : ٧) : « الزبان » .

(٤) فى القاموس (علف) : « وككتاب : ابن طوار ، اليه تنسب الرحال العلافية ، لانه أول من عملها » .

زِمَّانُ ، جماعة ، يأتون فى باب الزاى .

(رُزَيْق) فى طيئ : رُزَيْق[1] بن عَبْد بن جَذِيمة بن وَهْب[2] ابن ثعلبة بن سلَامَان . وقيل : زُرَيْق ، بنقلهم الزاى .

وفى الأنصار : رُزَيق بن عبد حارثة بن بن (عَقْب)[3] ابن جُشَم بن الخزرج . وقيل : زُرِيق أيضاً .

الزَّاى

(زِبَّان) فى غَنِيٍّ : زِبَّان[4] بن كعب بن جِلَّان[5] بن غَنْم بن غَنِيّ ابن أَعْصُر ، وهو مُنَبِّهُ بن سعد بن قيس عَيْلان)[3] .

منهم : عُصَيْمةُ بن وهب الزِبَّانى ، الذى أَسَر مَعْبد بن زُرَارة يوم رَحْرَحان .

(وكان سبب هذا اليوم : أن الحارث بن ظالم المُرِّىّ لمَّا قَتل خالد بن جعفر بن كلاب جاء فلجأ إلى بنى زُرَارة ، فكان المتولى لإيوائه منهم مَعْبَد بن زُرارة ، فلما علم الأَحوص بن جعفر بذلك ثار للطلب بدَم أخيه ، والتَقَوْا برَحرحان ، وطُعن مَعبد بن زُرارة طعنةً أثْخنته فسَنَد هضبة ، فأبصره عُصيمة بن وَهْب ، فأخذه وحَدره ، فاحذه منه عامر والطفيل ، ابنا ملك بن جعفر بن كلاب ، وأثابا الغَنوى عشرين بعيراً .

(١) المختلف (ص : ٤١) هذا وما بعده :« زريق » .

(٢) فى المختلف (ص : ٤١) : « زهير » .

(٣) التكملة من م .

(٤) ضبط الجمهرة (ص : ٢٤٩) بالقلم بالتشديد . وقال ابن حبيب فى المختلف (ص : ٧) مكسور الزاى خفيف » .

(٥) وكذا فى الجمهرة (ص : ٢٤٨) . وفى المختلف : « حِلان » بالحاء المهملة .

وأتت بنو عامر بن صَعْصعة بمعبد فوضعته بالطائف عند أبى عَقيل جدّ الحجّاج ، فكان يوافى به الموسم فى كل سنة ليُفدى ، وطلبوا فداءه ألفَ بعير ، فقال لقيط : صبراً أبا القعقاع ، فإنَّا لانقدر على هذا . فقال معبد : ما كان ليلقانى أحدٌ من إخوتى أشد بُغضًا لى منك ، فمات هَزْلا وضعفاً . وكانوا يأتونه باللَّبن فيقول : كيف أقبل قراكم وأنا فى القِدِّ ، إنى إذن لِمَهْياف ، أى عطشان ، وكانوا يعمدون إلى شِظَاظٍ فيجعلونه بين أسنانه ويُوجرونه(١) لئلا يموت . ثم إنه هلك عندهم ، وقال عوف بن الخرِع التَّيْمِىّ يُعَيِّر لقيطاً بذلك :

هَلَّا كَرَرْتَ على أُخَيِّـكَ مَعْبَد ... والعـامِرِىُّ يَقُـوده بصفَاد(٢)
وَذَكَرْتَ من لَبن المُحلّق شَرْبَةً ... والخيل تَعْـدُ بالكُماة بَـدَادِ
هلَّا فوَارِس رَحْرَحَان هَجَوْتَهم ... عشرًا تَنَـاوح فى سَرَارةِ وادِ
لَا تَـأْكُلُ الإبلُ الغِرَاثُ نَبَـاتَه ... كلا ، وليس عمادُه بِعمَاد(٣)

وكان عُصَيْمة هذا شاعراً ، ومن قوله :

سَـأُثْنِى عَلَيْكُمْ صادِقاً آل حَابِسٍ ... ثَنَاءًا كَرِيح الجَوْرَب الْمُتَخَرِّق
فَلَوْ شِئتُمُ آذَنْتُمُونِى وَصَاحِبِى ... جميعَيْن لَم نَعْطَبْ ولم نَتَفَرَّقِ

بنو حَابِسٍ من غَنِى ، ثم من عُبيد ، وقد أدرك الإسلام وهاجر . وٱستشهد له أولاد)(٤)

---

(١) يوجرونه ، أى يضعون الطعام والشراب فى فمه .
(٢) انظر النقـــائض (ص : ٢٢٨) والأغانى (١١ : ١٢٩) وطبقات ابن سلام (ص١٣٨–١٣٩) .
(٣) فى الأصلين : « ولا تقوم غضونه بعماد » وهو غير مستقيم ، وما أثبتنا عن ابن سلام .
(٤) التكملة من م .

وفى القَين بن جَسْر مثلُها : زِبَانُ بن امرىءِ القيس ابن ثَعلبة بن مالك بن كنانة بن القَين . سُمى القَيْن لأنه حَضنه عبدٌ يقال له : القَين . فغلب عليه ، واسمه : النُّعمان بن جَسْر (بن شَيْع الله بن أَسَد بن وَبرة[1]) .

ومن زِبَان هؤلاء : الإِطْنابَة بنت قَيس بن شهاب بن الحارث ابن سعد بن زِبَانٌ ، أم عمرو بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأَغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، المعروف بعَمرو ابن الإطنانة . الشاعر القديم الجاهلى.

وفى الأَزد (مثلها) [2] : زِبَان بن مُرة بن قَيس بن ثَوْبان بن شِهْمِيل بن العتيلك بن الأَسد بن عمران بن عمرو مُزَيقياَء بن عامر ماءِ السماء .

(زَبَّان) وفى كلب : زبَّانُ بن [2] الأَصْبَغ بن عمرو بن ثعلبة ابن الحارث ، وهو الحَرْشاء بن الحِصْن بن ضَمضَم بن عَدِى (بن جَنَاب بن هُبل بن عبد الله بن كنانة بن بَكر بن عَوف ابن عُذرة بن زَيد اللات بن رفُيْدَة بن ثَوْر بن كَلب ابن وَبرة)[1]. وهو جَد عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وأمُه ، ليلى بنت الرَّباب ، وإياهَا عَنى ابن قيس الرقيات بقوله :

أَعنِى ابنَ لَيْلَى عبد العزيز ببابلـــــيُون تـأْتى حفَانُه رُذمــــا
الواهبَ البُختَ والوصائِفَ والْـ غِزْلاَنَ والخَيْلَ تعلُك اللُّجُما

---

(1) التكملة من م .

(2) قال ابن حبيب في المختلف (ص : ٧) :« بالزاى مفتوح مشدد » .

وعَناها أيضاً فقال يرثيه :

أَبَعْدَ ٱبن لَيْلَى يأْمُل الخُلدَ واحدٌ   من النَّاس أويرجو الثَّراءَ مُثَمِّـرُ

وإياه عنى كُثَيِّرٌ بقوله :

وماتَ ٱبن ليلى فما أرغَبُ

وقد كان لعبد العزيز ولد يقال له : أبو زَبَّان (وَهوالأَصْبَغُ)[1] ،
وإياه عنى أبو بكر بن أبي الجَهم بن حُذيفة العَدوى بقوله :

(أَبَعْدَكَ يا عبد العزيز لحاجة)[1]   وبعد أبي الزَّبَّان يُسْتَعتب الدَّهْرُ

فلا صلحت مصر لحيٍّ سِوَاكُما   ولا سُقِيت بالماءِ بعدَكما مِصْرُ

وَلَا زالَ مَجْرَى النِّيل بعدك يابسًا   يموت به العُصْفور واستبطئ، القطر

والأَصبغ هذا هو الذى رأى شجةً فى رأس أخيه عمر ٱبن عبد العزيز فقال : هذا والله أَشجّ بنى أُمية يملأُ الأَرضَ عَدْلاً . وذاك أن عمر رضى الله عنه كان ضَربه حِمارُوهو بمصر فشجّه ، أو رمى به حِمار ، ولم يكن عُمر أخاالأَصبغ : كانا لعَلّات ، لأن أم الأَصبغ كانت أم ولد ، وأُم عُمر وإخوةٍ له : أُم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان خطبها وتزوجها ؛ فحُمِلت إليه فمرت فى أَيلة بمجنون يقال له : شِرْشِيرٌ ، فأَهْدَى إليها هَدِيَّةً فأَثابته وكستْه ، ووصلت إلى عبد العزيز فولدت له ، وماتت عنده بعد مدة ، فتزوّج أُختها حَفصة بنت عاصم ، وكانت عَوَاناً فحمُلت إليه ، فمرت فى أَيلة بذلك المجنون ، فأَهدى إليها هدية ، فأَغفلت أَمرَه فقال :

(١) التكملة من م .

ليس حفصَة من رجال أُم عاصم . فشاع ذلك وَطار فى الآفاق ، وَصَار مثلا .

وفى فَزارة : زَبَّانُ (أَيضاً) [1] ابن سَيَّار بن عمرو ، وعمرو هو العُشَراء ، سُمى بذلك لِضخَم بطنه ، ابن جابر بن عَقيل ابن هِلال بن سُمَىّ بن مازن بن فزارة بن ذُبيان .

وفيها أَيضاً : زَبَّان بن بدر . أَخو حُذيفة بن بَدر ، وليس له كثير ذكر .

(الزَّبِيرُ) فى قريش : الزَّبِيرُ . مفتوح الزاى . فى قول أَحمد بن يحيى البلاذرى ، والباقون كلهم على ضمها ، أبن عبد المطلب ابن هاشم ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات وهو ابن تسع وثلاثين سنةً ، وقد قيل : إنه مات أَيام المبعث ، وهو كان المتكلم فى عقد حلف الفُضول الذى تعاقد فيه بنو هاشم ، وبنو المُطلب بن عبد مناف ، وبنو أَسد ابن عبــد العُزى بن قُصى ، وبنو زُهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كلاب ، فى دار أَبى زُهَيْر عبد الله ابن جُدعان التيمى ، على مَنع الظلم .

وفى هذا الحلف يقول نُبَيه بن الحجّاج السَّهمى ، وكان أَراد أَن يغصب رجلا من خثعم بنتاً له ، يقال لها القَتُول ، فمنعه هؤلاءِ الأَحلاف :

زَارَ صَحْبِى ولَمْ أُحَيِّ القَتُــولَا   أَو أَوَدِّعْهُمُ وداعــاً جَمِيــــلَا

(١) التكملة من م .

لا تَخالى أنّى، عشيّةَ راحال ... رَّكْبُ هُنتُمْ علىَّ ألّا أقولا
بل خَشيتُ الفُضول فيك وقِدْماً ... قد أرانى ولا أخاف الفُضولا

وقال نُبَيْهُ أيضاً :

حىِّ المليحةَ إذ نأت ... منا على عُدَوائِها
لا بالفراقِ تُنيلُنا ... شيئاً ولا بلقائها
لَوْلا الفُضول وإنه ... لا أمْنَ من غُلَوائها
لنَبَوْتُ من أبْياتِها ... ولَطُفْتُ حَوْلَ خِبائها
ولَجِئْتُها أمْشى بلا ... هادٍ على ظلمائِها
فشَرِبْتُ فضلةَ كأسِها ... ولَبِثْتُ فى أحشائِها (١)

وكان الزَّبير شاعراً ، وأنا لا أفضل عليه من شعراء قُريش إلا القليلَ ، ومن قوله :

وَلستُ كمن يُميتُ الغَيْظَ عجزاً ... ولكنّى أُجيبُ إذا دُعيتُ
(وينْهى عتّى المُختالَ صَدْقٌ ... رقيقُ الحدِّ ضَرْبَتُه صَموتُ) (٢)
بكفَّىْ ماجدٍ لَمْ يرْضَ ضَيماً ... إذا يَلْقَى الكتيبةَ يَسْتميتُ
وَلَوْلا نَحْنُ لَمْ تلبَسْ رجالٌ ... ثيابَ أعزّةٍ حتى يَمُوتوا

وقال (الزَّبير) (٢) أيضاً :

تَرْمى بنو عبد مَنافٍ إذا ... أظلم من دُونى بالجَنْدَل
لَا أسَدٌ تُسْلمنى لا ولا ... تَيْمٌ ولا زُهرةُ للنَّيْطَلِ (٣)

---

(١) انظر حماسة ابن الشجرى (ص : ٥١)وطبقات ابن سلام (ص ٢٠٥) ومعجم الشعراء للمرزبانى (ص١٩١) وأنساب الأشراف للبلاذرى.
(٢) التكملة من م .
(٣) النيطل : الداهية .

ومن قوله :

إنِّى إذا مرّ مَالِى لَا أكلِّفُــه إلَّا الغزاةَ وإلَّا الرَّكْضَ فى السُّرب[1]

وَلَنْ أُقيمَ بأَرْضٍ لا أَشُــدُّ بهــا صَوْتِى إذَا ماآعْترتنى سَوْرَةُ الغَضَب

ومن قول الزَّبير :

تَذَكرَّتُ مَا شَفَّنى إنما يُهَيِّجُ ماشَــفَّهُ الذَّاكِرُ

ويمنعُه النَّوْمَ حتى يُقالَ بِهِ سَقَمٌ بَاطنٌ ظاهِرُ

فَلَوْ أنَّ حَجْلًا وَأَعمامَه شُهُودٌ وقُرَّةُ والطَّــاهِرُ

حَجْلٌ ، وقُرَّةُ ، والطاهر : بنو الزبير ، وقد كان له أخ يقال له عجل أيضاً .

ولكِنَّ غُولًا أَهَابَتْ بِهِمْ وفيهمْ لمضطهــدٍ ناصِرُ

فلا يَبْعِدِ القومُ إذوَدَّعُوا وأَسْقى قُبُورَهُمُ المَاطِرُ

نَجاءُ رَبِيعٍ له وَابِــلٌ لَهُ خَضِرٌ وله زاهر[2]

وكانت للزَّبير بنت يقال لها : ضُباعة ، تَزَوَّجها المِقداد آبن عمرو ، المعروف بالمقداد بن الأَسود ، والأَسود بن الأَسود بن عبد يغوث زوج أُمه ، وهذا يَدُل على جواز النكاح فى المسلمين غيرَ الأَكفاء فى النَّسب.

(الزَّبير) وفى أَسْلم : الزَّبِيرُ[3] والد عبد الله بن الزَّبيرِ بن الأَشيم آبن الأَغشى بن بُجْرَةَ بن قيس بن مُنْقِذ (بن طَريف

(١) المال : يعنى : الابل والخيل . والسرب : جمع سربة ، وهى جماعة الخيل .

(٢) هذه الزيادة عن نسخة ٣

(٣) أنظر : الخزانة (١ : ٣٤٤) .

ٱبن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد ابن خُزيمة)[1] .كذا هو بخط أبي المدَّود (فى شعر الزّبير أنا ألحقته ها هنا)[1] الشاعر القائل :

أَبَى اللَّيْلُ يَا عِمْرانُ أَنْ يَتَصَرَّمَا كَأَنِّى أَسومُ العينَ نوما محرّما

(وذكره مستقصى فى كتاب بنى أسد، إن شاء الله)[1] فى قريظة : الزَّبيربن باطَا بن وَهب ،أحدُ بنى قُريظة (ابن الخَزرج بن الصَّريح بن التَّوْمَان ابن السِّبْط بن اليَسَع بن سعد بن لاوىّ بن خَير بن النحّام بن تَخْوم بن عازَر ابن عِزْرى بن هارون بن عمران بنَ يَصهر بن قاهث)[2] ، وكان الزبير هذا شيخ بنى قريظة . فحدثنى الحسن بن عبد الصمد بن الحُسين ابن يوسف عن أبيه ، عن أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ، وهو أبو الطيب الأُشْنَانى ، عن الواقدى عن رجاله ، قال[3] . كان الزَّبِيرُ بن باطا قدمَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك يومَ بُعاث. فأَتى ثابتٌ الزَّبيرَ عند ظَفَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قُريظة وقتله من قتل منهم فقال : يا أبا عبد الرحمن : هل تعرفنى ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك ؟ . قال ثابت : إن لك عندى يداً ، وقد أردت أن أجزيك بها ، قال : إن الكريم يجزى الكريم . فأَتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله إنه قد كان للزبير عندى يد ؛ جَزّ ناصيتى يوم بُعاث ،وقال : اذكر هذه النِّعمة عندك ، وقد أردت أن أَجْزيه بها ، فهَبْه لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هولك. فأتاه

---

(١) التكملة من م .

(٢) التكملة من م . وانظر السيرة لابن هشام(١ : ٢٢) .

(٣) انظر : السيرة لابن هشام (٣ : ٢٥٣ –

فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَهبك لى . فقال الزُّبير : شيخ كبير لا أهلَ لى ولا ولد ، ماأصنع بالحياة . فأتى ثابتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءَ بهم إلى الزَّبير ، فقال الزبير : وما حياة أهل بيت بالحجاز لا مالَ لهم ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله : فأعطاه مالَهم . فلما اجتمع إليه أهله وماله قال لثابت : يا ثابت : ما فعل الذى كان وجهه مرآةً صينيَّة تتراءى عذَارى الحىّ فى وجهه ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى ، سيد الحيين كليهما يحملهم فى الحرب ويطعمهم فى المحل : حُيىّ بن أخطب ؟ قال : قُتل . قال . فما فعل أوّل عادية يَهُودًا إذا حَملوا ، وحاميتُهم إذا ولَّوا : عَزَّال بن سموأل ؟ قال : قتل ، قال : فما فعل الحُوَّل القُلَّبُ ، الذى لا يَؤم جماعة إلَّا فَضَّهَا ، ولا عُقْدَةً إلا حَلَّها ، نَبَّاش بن قيس ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل صاحب لواء يهود فى الزُّحوف وهب بن زيد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل العُمران اللذان كانا يلتقيان بدراسة التوراة ؟ قال : قُتلا . قال : فما فعل وَلىّ رِفادة يهود وأبوالأيتام والأرامل فى يهود عُقبة بن زيد . وعن ابن اسحاق : قال : فما فعل المجلسان ، يعنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ؟ ــ قال : قُتلوا ، قال : يا ثابت ، فلا خير فى العيش بعد هؤلاءِ ، لا أرجع إلى دارٍ كانوا فيها حُلولًا ، فأَخْلُد فيها بعدهم ، لاحاجةَ لى فى ذلك يا ثابت ، وإنى أسألك بيدى عندك إلَّا قدَّمتنى إلى هذا القَتَّال الذى يَقتُل سراةَ بنى قُريظة ، ثم قدمتنى إلى مصارع قومى ، ثم حُدَّ سيفى فاضربنى به ضربةً وارفع يدك عن العظام وألصق بالرأس واخفض